الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

لغة الجسد في مجموعة (تاريخ يتمزق في جسد امرأة) لـــ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
* سعيدة مسكين
* هيام الديب

إشراف الأستاذ:
* هشام باروق

السنة الجامعية: **2014/2013**

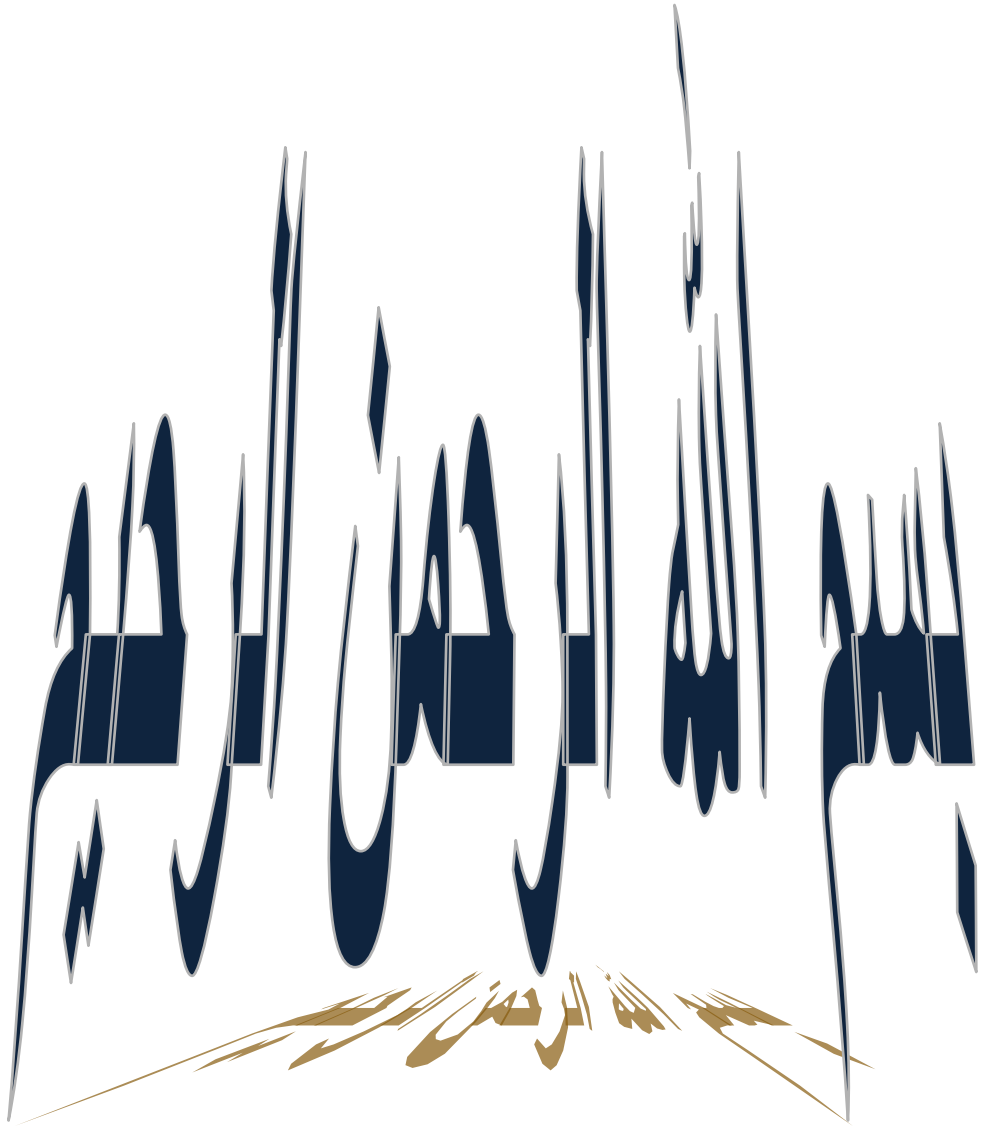
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

((رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين))؟

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى "أمي" التي حضنتني في صغري وكانت نعم الأم، وعوّضتني عن كل شيء كنت سأحرم منه، وكانت شمعة أنارت ظلمة ليالي ونجمة تزين دربي وتحثني على الدراسة والتركيز حتى التميز، وانتظرت لحظة تخرجي بفارغ الصبر. (هجيرة)

إلى توأم روحي التي كانت سندي في الحياة، وطالما اشتكيت لها همومي، وفرحت لفرحي وحزنت لحزني وكانت نعم الرّفيقة وهي صندوق أسراري.(بريزة)

إلى أخي (عبد الباقي) الذي كان بمثابة الأب، وسندي في هذه الحياة، كان معي ماديا ومعنويا، ولم يبخل عليّ بشيء، وطالما كان مجيبا لمطالبي خاصة ما تعلق ببحثي هذا، ووفّر لي كلّ ما احتجته، وإلى زوجته.

إلى صديقاتي اللواتي كن رفيقات دربي وتشاركت معهن أجمل سنوات عمري ولحظاته الحزينة والفرحة، وكنّ بمثابة الأخوات اللواتي لم تنجبهن أمي، إلى: صبيحة، إلهام، نور الهدى، سلاف، بسمة، شهرزاد، عبير، نجية، مريم، جودة، سناء، رحيمة ، بشرى.

إلى كل من شاركني هذا العمل ومدّ لي يد العون وكان سندا طول الطريق.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي، ولم تسعهم مذكرتي أقول شكرا.

سعيدة

والحمد لله الذي وفقنا لهذا .

إهداء

إلى نبع الحنان والدفء الذي لا ينضب ورمز العطاء الذي لا يمن، إلى من علمتني كيف أحب ولا أكره، أعطي ولا أبخل، أمي الحبيبة "فهيمة ".

وإلى من علمني معنى الحياة والطموح والأمل وجعلني دوما أنظر إلى نفسي بثقة واعتزاز، وإلى من غرس في نفسي حب العلم وشجعني السير في طلبه، أبي الغالي "عاشور".

إلى من احتضنوا فرحتي أسوا كربتي، إلى الزهور في ربيعي والأمطار في شتائي، وإلى من زينوا حياتي بألوان الطيف وكانوا لي الظل في فصل الصيف، إلى بذور المحبة التي غرست في قلبي عند الخريف، "أخواني وإخواتي"" مراد"، "كمال"، "عادل"، " بلال"، "حورية"، حياة"، "سمية"، "سهام"، "إيناس".

إلى العصافير الجميلة البلابل المغردة " ريماس"، "نورسين"، "أنس "، وإلى زوجا أختاي "عماد" و"إبراهيم" وإلى زوجة أخي "نهاد" إلى جدي وجدتي أطال الله عمرهما، إلى كل من أهلي وأقاربي إلى الشموع التي أضاءت دربي، والفراشات زينت سماء حياتي إلى صديقاتي الغاليات: " نسيمة" و"مريم" و" رقية" و"لمياء" و"فاطمة" و" مريم"...

وإلى كل من أسهم في تكويني العلمي من الطور الابتدائي إلى الجامعي.

إلى أستاذي المشرف الذي أحترمه وأقدره "هشام باروق " وإلى أصحاب التضحيات الجسام لنعيش نحن بسلام، إلى حماة الوطن دون استثناء.

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة اعترافا بجميلهم.

شكر وعرفان

لأن الاعتراف بالجميل والشكر على الصنيع شكر لله قبل العبادة، نحمد الله الذي تتم بفضله الصالحات وتحل مع اسمه البركات الذي يسر لنا دروب الصلاح وفتح أمامنا أبواب النجاح وأعاننا في إكمال بحثنا هذا في صحة وارتياح.

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أستاذة قسم الآداب واللغات ونخص بالذكر: الأستاذ المشرف "هشام باروق" الذي كان سندا ومعيننا بمساعداته وإرشاداته.

إلى الأساتذة الأفاضل: سعاد الوالي ، غزالة شاقور، زوبير بن سخري .

إلى كل من أسهم في إخراج هذا البحث إلى النور من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله والحمد لله رافع الدارجات لمن انخفض لجلاله، وفاتح البركات لمن انتصب لشكر أفضاله، والسَّلام على من مدَّت عليه الفصاحة رواقها وشدَّت به البلاغة نطاقها، المبعوث بالكلمات الباهرة والحجج القاهرة، وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين واتبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

ثنائية الروح والجسد من الثنائيات التي عمَّرت طويلا في الفكر الإنساني، وأسالت الكثير من حبر الفلاسفة والمفكرين. الذين طالما انتصروا للروح على حساب الجسد، واعتبروا هذا الأخير ــ الجسد ــ هو القبر الذي تدفن فيه الروح وهذا كان قبل أن يأتي فلاسفة آخرون ويعيدوا النظر في هذه الثنائية ويحاولوا تجاوزها ويعطوا للجسد المكانة التي يستحقها، هذا من الناحية الفكرية والفلسفية، أما من الناحية الأدبية والإبداعية، فكثيرا ما تغنَّى الشعراء بالنفس وأحوالها متناسين الجسد وخصائصه ــ لكن هذا لا يعني أنهم لم يذكروه ــ، ونتيجة لهذا كان لابد من ظهور أعمال أدبية ودراسات فكرية تهتم بالجسد وترفع شأنه، وتبين دوره وقيمته في خلق لغة جديدة خاصة به، تعبر عمَّا بداخله من مكنونات وخبايا، ومن بين الشعراء الذين رفعوا شعار الجسد وحملوا لواءه نجد الشاعر (أدونيس) الذي اخترناه أنموذجا لدراستنا.

وعن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، عدة أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، ومن الموضوعية نذكر جدة الموضوع وقلة الدراسات والأبحاث حوله، أما عن الأسباب الذاتية فوجدنا رغبة في معرفة لغة الجسد ومعرفة بعض تفاصيلها وكذلك الرغبة في المساهمة في تحليلها وكشف خباياها، وكذا إبراز قيمة الجسد وأهميته.

وفيما يخص قيمة الموضوع، فقد وجدناه حقا موضوعا ثريا كونه يعرفنا بآراء الفلاسفة والدَّارسين حول هذه الثنائية، وكذا أهم وجهات النظر التي تبادلوها واختلفوا فيها، كما يعطينا تعريفات وتحليلات لبعض المصطلحات التي تضمنتها هذه الثنائية، والتي طالما كان هناك الكثير من يخلط بينها، وذلك بسبب تقاربها في المعنى نحو الجسم والجسد، وكذا النفس والروح والذات، بالإضافة إلى أنها كونت قاعدة قويَّة وثابتة للدراسات التي تلتها بحيث اعتمد عليها الكثير من الدَّارسين خاصة في العصر الحالي واعتبروها مادة خاما، وراحوا يدرسونها ويحللونها بين مؤيد ومعارض.

وفي صدد هذه الدراسة تبادرت لأذهاننا العديد من التساؤلات والإستفهامات حاولنا الإجابة عنها، ومن هذه الأسئلة: لماذا كان في هذه الثنائية ميل لجهة على حساب أخرى؟ ولماذا كل هذا التقديس والمغالاة لقيمة الروح عند البعض الذين قالوا بعدم أهمية الجسد بمقابل الروح؟ وكيف كان لهم أن ميزوا هذين المصطلحين عن بعضهما بالرغم من كونهما متصلين؟ كل هذه التساؤلات وغيرها حاولنا الإجابة عنها خلال هذه الدراسة، كما أضفنا لها بعض الشرح والتحليل، ولم تكن هذه الأسئلة إلا مدخلا للإجابة عن الأسئلة الجوهرية التالية:

1) كيف وظف (أودونيس) لغة الجسد في شعره؟ وهل يمكن القول بأنه قد أعطاها مقاما شعريا جديدا؟.

وقد سبقتنا لهذه الدراسة مجموعة من الدراسات كدراسة "دفيد لوبروتوثون" في كتابه "أنثروبولوجيا الجسد والحداثة" ودراسة "هشام العلوي في كتابه "الجسد بين الشرق والغرب نماذج وتصورات"، "جورج باطاي" في كتابه "الكتابة بالجسد" التي قامت بتحليل هذه الثنائية وشرحتها على أمل إزالة الغموض عنها وفتح بابها نحو جهة النور حتى يستفيد منها ذلك الجيل وجيل اليوم والجيل اللاحق.

وتناولنا مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادتنا وكانت منارتنا في طريق البحث والدراسة حول هذا الموضوع، ونذكر منها: كتاب "ميشيلا مارزانو" بعنوان "فلسفة الجسد" وكتاب "خالد بلقاسم" بعنوان "أدونيس والخطاب الصوفي" وكذلك كتاب " أبوحامد الغزالي" بعنوان "تهافت الفلاسفة" وغيرها من المراجع التي لا يتسع المجال هنا لذكرها.

وللإحاطة بالموضوع اتبعنا الخطة التالية والتي تمثلت في فصلين، نظري وتطبيقي، وتناولنا في الفصل الأول المعنون بثنائية الروح والجسد في الموروث الإنساني وفيه مبحثين الأوّل بعنوان ثنائية الروح والجسد في الفلسفة الغربية ويضم ثنائية الروح والجسد عند (أفلاطون). والثنائية في الفلسفة المعاصرة وفيها الجسد في الفلسفة المعاصرة والروح أو النفس في الفلسفة المعاصرة وكذا الجسد عند (نيتشه)، وعند (ميرلوبونتي). والمبحث الثاني بعنوان ثنائية الروح والجسد في التصوف ويضم أصل التصوف واشتقاقه، النفس في نظرة المتصوفة، النفس وتعريفاتها عند الصوفية، الروح عند صوفية الإسلام، الجسد عند الصوفية، الروح والجسد عند (أبي حامد الغزالي) (الروح، الجسد، علاقة الجسد بالنفس عند الغزالي). وأخيرا الأدب عند الصوفية.

أما الفصل التطبيقي فيضم مبحث لغة الجسد فيها لغة الأعضاء، كلية الجسد، ومبحث فاعلية الجسد وفيه الجسد منفعلا، الجسد فاعلا. والمبحث الثالث يحمل عنوان تمظهراته ــ ونقصد هنا الجسد ــ ويضم الجسد المتشكل، الجسد الأسطوري، والجسد الصوفي، وأخيرا المبحث الرابع بعنوان الجسد والكتابة، بالإضافة إلى خاتمة البحث لتصوغ أهم النتائج.

وقد واجهتنا في هذه الدراسة بعض الصعوبات منها نقص المراجع الخادمة للموضوع وكذا تشعب الموضوع وتفرعاته ممًا أدى إلى استهلاك المزيد من الوقت والجهد لإنجازه.

وقد سعينا جاهدتين حتى ترقى هذه الدراسة إلى المستوى وتنال إعجاب الدًارسين فيما بعد ويستحسنها من يتلقاها.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف، ونرجوا من الله أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، وأن ننفع به الآخرين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:

ثنائية الروح والجسد

في

الموروث الإنساني.

أولا:

ثنائية الروح والجسد

في

الفلسفة الغربية.

I) ثنائية الروح والجسد عند أفلاطون:

الجسد أحد المعطيات الأساسية لإثبات الوجود الإنساني، ففي الجسد يولد ويعيش ويموت الإنسان، وبجسده أيضا يندمج في المجتمع ويواجه الآخرين. إلاً أنه غالبا ما فضلت النفس وتأملاتها وعواطفها. وإجراء البحوث حولها دون الجسد.

ويرجع التمييز بين النفس والجسد إلى " الثنائية الأفلاطونية الديكارتية التي تؤسس الميتافيزيقا التمييز ما بين النفس والجسم" [1] أي أن هذا التفريق بين النفس والجسم قائم على أساس ما جاءت به ثنائية أفلاطون وديكارت المؤسسة لهذه الميتافيزيقا.

1- الروح:

اهتم أفلاطون كثيرا بالنفس حيث اعتبرها " جوهر الفكر وجوهر الإرادة " [2]، أي أنها مركز التفكير ومركز الإرادة اللتان يتميز بهما الإنسان عن الحيوان. فبالتفكير يستطيع الإنسان التمييز بين مايضره وما ينفعه، وبين الخير والشر، وبالإرادة يستطيع أيضا الرقي عن درجة الحيوان ويسمو بروحه عن شهوات الجسد وميولاته.

وتقوم النفس بتوجيه هذه الغرائز الجسدية، كما أن النفس هي التي تدير حركات الجسد حسب رغباتها، فتأمره بالسوء إذا كانت سيئة، وتأمره بفعل الخير إذا كانت خيرة،" فهي الرادع، وهي المريد، وهي المطمئن هي السبيل إلى أي فعل" [3]، وهنا يذهب أفلاطون إلى مقارنة النفس " بالعربة المجنحة ذات الحصانين" [4]، فإذا كان الفارس والحصانان من طبيعة خيرة، فإن قيادة العربة تكون سهلة يسيرة وهذا في نفوس الآلهة، أما إذا كان أحد الحصانيين شريرا وكان الآخر خيرا كانت القيادة شاقة.

---

*الجسم: "الجسد فيه حياة " ووردت كلمة الجسم مرتين في القرآن.

*الجسم: يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة، والجسد يطلق على التمثال الجامد وبدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه.

*الروح: هي العنصر المحرك للكائنات الموجودة في الوجود، ويرتبط كل كائن وجودي، له بداية ونهاية بروح فردية تعطي له تماسكاوتكاملا لوجوده وإستمراره وزواله.

1- ميشيلا مارزانو:فلسفة الجسد، ت: نبيل أبو صعب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1980، ص 15.

2- المرجع نفسه، ص 16.

3- غيثاء قادرة: لغة الجسد في لغة الصعاليك، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2013، ص 16.

4- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنويرللطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 2009، ص 14.

وهذا يكون في نفوس البشر، ولهذا تتعرض الكثير من هذه النفوس إلى انتكاسات نفسية، أي تحدث صراع نفسي بين الأمر بفعل الخير والأمر بفعل الشر من طرف القوى النفسية الداخلية " لأن النفس ذات أصل سماوي، تقطن الجسم كما لو كانت سجينة بوسعها الهرب عند الموت واستعادة ألوهيتها" [1] وذلك عندما ترجع إلى عالمها الأول الذي تتوق إليه لأنها كانت تحيا فيه قبل أن تهبط في الجسم وهذا يعني أن النفس كانت موجودة قبل وجود الجسم وكانت تعيش في السماء مع المثل العليا لكنها نزلت إلى الجسد الذي يعتبر سجنا لها و هي التي اعتادت على الحرية، وهذه الحرية لن تتحقق لها إلا إذا مات الجسد وأصبح جثة خالية من الروح وبالتالي فهي تتميز عن الجسد في كونها إلهية وخالدة بينما الجسد زائل وفان.

ولذلك نجد (أفلاطون) يوصي بتدريب الإنسان نفسه على ضبط ميولها الجامحة وحب الشهوات و السيطرة عليها لكي يصبح العقل هو المتحكم في سلوكاته، فإذا حدث هذا التحكم والتناسق بين شهوات الجسد وأوامر العقل رجعت النفس صافية متجردة مما علق بها من مادية العالم التي كانت تعيش فيه داخل الجسد.

وهذا يعني أن (أفلاطون) يدعو إلى تطبيق قانون السيد والمسود والقائد والمنقاد والرئيس والمرؤوس؛ أي أن تكون النفس هي القائد والجسدهو المنقاد لتحقيق المطلب الأفلاطوني، الذي يدعو إلى أن تتحكم النفس في الجسد وفق مقتضيات العقل.

وهنا نجد (أفلاطون) يؤكد ذلك على لسان سقراط فيقول:" قضيتي الوحيدة هي أن أجوب الشوارع لإقناعكم جميعا شبابا كنتم أم شيوخا بأن لاتولعوا بالجسم وعلم بالنفس سعيا إلى جعلها خير ما استطعتم" [2]، وهذا يعني أنه يجب على النفس أن تبقى في ذاتها ومع ذاتها. بعيدة عن الجسد وشروره لأنها إذا سارت معه فإنها تستغرق في الجهل الدامس ولن تبلغ شيئا من العلم.

كما تقوم النفس بتوجيه حركات الجسد والسيطرة على شهواته حتى تبقى نقية وصافية وخالية من شروره، وتعود إلى العالم الذي كانت فيه، وهي في غاية الحب

---

[1] – غيثاء قادرة: لغة الجسد في إشعار الصعاليك، ص 15.

[2] – أفلاطون "محاورة فيدون": في خلود النفس، ت: عزت قرني، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2001، ص 55.

والشوق والصفاء[1]، وللنفس الفضل في بقاء الجسد حيا حيويا ديناميا، أما إذا خرجت منه صار ميتا خاليا من الروح، مجرد جثة هامدة ساكنة لإحراك بها.

وخير دليل على سمو الروح صعودها إلى السماء، بينما الجسد يدفن في التراب، فالنفس مصدر حياة الجسد ومصدر حركاته كما يقول أفلاطون [2]. ومن غير النفس لايكتمل الوجود الإنساني في العالم إذا لايكفي وجود الجسد حتى تقول ان فلان موجود. بل لابد من حضور النفس داخل هذا الجسد لان النفس تلعب دورا أساسيا لإدراك الجسم لما يحيط به. فهي مصدر الفكر والتفكير وهي التي تصبو إلى العلم والحكمة، وهي التي تعكس ما بداخل الجسم من عواطف وأحاسيس.

ولهذا يهتم أفلاطون كثيرا بالنفس رافعا شعار إعرف نفسك بنفسك. وهذا يعني أن الإنسان من أجل أن يعرف ذاته لابد له أن يهتم بمعرفة نفسه، لأن النفس هي مصدر المعرفة وأساسها، وجوهر النفس هو الفكر أو القدرة العلمية بوجه عام فما يخص مركز العقل والتعقل هو من خصائص النفس، أما ما يخص إنفعال فهو من شأن الجسد.

وهناك يؤكد أفلاطون على لسان سقراط بقوله " قضيتي الوحيدة هي أن أجوب الشوارع لإقناعكم جميعا شبابا كنتم أم شيوخا بأن لاتولعوا بالجسم ولعكم بالنفس سعيا إلى جعلها خير ما استطعتم"[3]، فالمطلب الأفلاطوني هوأن تتحكم النفس في الجسد وفق مقتضيات كما يقول سقراط لأن الجسد دائما يميل إلى الملذات ويعكر على النفس تطلعها إلى العلم والحكمة، ولكي تؤدي النفس نشاطها الخاص لبدى أن تبقى في ذاتها مع ذاتها بعيد عن الجسد وشروره، لأنها سارت معه فإنها ستغرق في الجهل الدامس ولن تبلغ شيئا من العلم[4]، ونفهم أن الجسد هو المصدر الشرفي حين أن النفس يرونها في مصدر الخير أي أنها خيرة والنفس لو سايرت الجسد لن تبلغ مرادها أو ما تصبو إليه.

ويرى أفلاطون أن النفس خفية أي أنها غير منظورة بحاسة البصر، وأنها إلاهية خالدة، عقلية ذات طبيعة واحدة غير مركبة، أو بالتالي بسيطة ولا تتحلل في الأشياء

1- محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1980، ص 19.

2- المرجع نفسه، ص 19.

3- أفلاطون "محاورة فيدون": في خلود النفس ، ص 19.

4- أفلاطون "محاورة فيدون": في خلود النفس ، ص 55.

المركبة تتفكك أجزائها وينفصل كل جزء عن الآخر، ويتحلل ويزول ، أما الأشيء البسيطة التي تتكون من عنصر واحد شامل وكلي، فلا تتحلل ولا تزول لأنك لاتستطيع فصلها عن بعضها البعض، أو بالتالي تبقى متماسكة ومترابطة. " وكذا النفس التي هي عبارة عن وحدة كلية وشاملة، وبالتالي للاتتحلل لأنها تتشابه مع المثل أو مع العالم الإلهي الذي نزلت منه" [1].

ويرجع أفلاطون خلود النفس إلى ثلاث أسباب هي أن النفس قبل أن تهبض إلى عالم الأرض موجودة منذ القدم في عالم المثل، وفي هذا العالم كانت تعرف صورة جميع الأشياء وحين إستقر بها المقام في الأرض أقامت علاقة مع الأشياء المحسوسة عن طريق التذكر، فتميزت هذه الأشياء من صورها الثابتة في عالم المثل عن صور العالم المادي الذي تتشكل مشوهة مزيفة عن الصور الأولى.

وإن كان وجودها قديما في العالم العقلي فإنها ستظل خالدة. بمعنى أنها لا تتحلل ولا تفنى مثل المادة، وهذا يعني أن النفس مادامت ليست من العالم المادي وإنما هبضت إليه من عالم المثل فهي لاتتميز بالتشوه والزيف الذي يتميز به العالم المادي، وبالتالي لاتفنى ولا تزول، لأن الأشياء العقلية المجردة لا تزول أما الأشياء المادية المحسوسة فهي زائلة متلاشية مع مرور الوقت.

" أضف إلى ذلك التناوب بين الحياة والموت الذي يشاهد في العالم المحسوس ويتيح للنفس الولادة من جديد وخلصها من آثار المادة" [2] وهذا دليل على ان النفس لا تزول وإنما تتنقل من الجسد إلى جسد، فبعدما يموت الجسد الأول ويدفن تنتقل إلى جسد آخر لكي لا تتحلل وتواجه المصير الذي لقاه الجسد، و لاتصير إلى الفناء. [3]

2- الجسد:

يرى أفلاطون في محاورات فيدون أن الجسم هو سجن الروح، وأن الروح معذبة داخله، لأنها مشدودة إلى رغباته ومتطلباته التي تحول دون وصول الروح إلى الحقيقة. وبالتالي يكون الجسم حملا ثقيلا فترغب الروح في التخلص منه والإنفصال عنه، لأنها

1- بكري علاء الدين:

2- بكري علاء الدين: الموسوعة العربية، ص 01.

3- ينظر: بكري علاء الدين: الموسوعة العربية، ص 1.

تريد الظفر بالمعرفة الأسمى، وذلك لا يحدث إلا إذا سعت إليها بالعقل وحده دون أن تتدخل الحواس الأخرى كالبصر والسمع، وتشارك العقل في عملية التفكير " لأنها لا تشكل إلا عنصر تشويه وإعاقة عن إدراك النفس للمعرفة " [1]

وبالتالي " تزدري النفس وتنفر منه روحه وتود أن تنعزل بنفسها عن عالم الغرائز والأوهام والرغبات التي يوجد فيها الجسد إلى عالم الجواهر وعالم المثل الذي توجد هي فيه".[2]

كما نجد ديكارت في كتابه تأملات ميتا فيزيقية يسعى إلى التخلص من عينيه وأذنيه ومن الجسم كله، لأن الجسم يقلق النفس ، ولا يدعها تصل إلى الحقيقة حيث يقول: "سأغمض الآن عيني، وسأصم أدني، وسأصرف كل حواسي... وسأحاول محافظا فقط على ذاتي ومتأملا داخلي" [3]، وهذا يعني أن ديكارت يعتبر المعرفة والحقيقة خاصة من خصائص النفس، ولهذا يسعى إلى الإهتمام بذاته أكثر. لأنه يفكر ولايحتاج إلى أشياء خارجية توصله إلى الحقيقة.

ومادام الفكر خاص بالعقل وحده فلاحاجة للإعتماد على الحواس التي تقدم معرفة ناقصة ومشوهة. مادامت متصلة بالجسم الذي يبقى كدليل وعلامة على نهاتينا.

وكما أن الجسم عائق أمام النفس في معرفة الحقيقة، فهو أيضا مجرد كتلة لحم لا تفارق صاحبها طول حياته. "وتتسبب له في مختلف أنواع الأمراض والألام والعيوب وبالموت، بالموت والفناء"[4]، أي أن النفس لا تمرض ولا تتألم كما يتألم الجسد وهو وحده المسؤول عن كل ما يصيبها وما تلقاه طول المدة التي تمكث فيها بداخله ،وفهذا الصدد نيتشه يقول: "المرضى والمحتضرون هم الذين يحتقرون الجسد والأرض" [5]:أي أن اللوم كله يقع على الجسد عندما نمرض ونتألم. ولهذا سادت معتقدات يقينية في أن الجسد كيان مسكون بالفناء، والروح مسكونة في الأزلية، والزهد في الحياة عبر إهمال الجسد الوهمي الزائل.

1- المرجع نفسه: ص 1.

2- سمية بيدوح: فلسفة الروح، ص13.

3- ديكارت: تأملات ميثافيزيقة، باريس، GF، د ط، 1979، ص 19.

4- ميشيلا مارزايو: فلسفة الجسد، ص 112.

5- نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، نشر المكتب العالمي للطباعة، بيروت، د ط، د ت، ص 42.

وهناك نجد القدس بطرس في العهد الجديد يقول: "إنكم أن عشتم حب الجسد تموتوا، وأما إنأمتم بالروح أفعال الجسد تحيون" [1] مما يعني أنه إذا إعتمدنا في عيشنا على الجسد فالموت مدرك لنا لا محالة، في إذا إعتمدنا في عيشنا على النفس فإن الخلود صفة تلازمنا وذلك جزاء لما كانت تمارسه النفس من أفعال. ويبقى الجسم قبرا لنفس لأنها مدفونة فيه طول الحياة، ولن تحصل على الحرية إلا إذا خرجت منه بعد الموت ورجعت إلى عالمها عالم المثل الذي كانت تعيش فيه، وهنا نجد تأكيد على ما قيل في أن الجسد هو سجن الروح وهو في الآن نفسه سجانها، ولن تتحرر إلا بموته.

و لقد كان علماء الدين المسيحين يؤمنون أشد الإيمان بعدم فناء النفس بعد الجسم، أي بعد خروجها منه ودفنه. إلى درجة أن مجمع بيتران المنعقد برئاسة البابا "ليون العاشر" قرر إدانة القائلين بفناء النفس، ودعا الفلاسفة المسيحيين دعوة صريحة إلى الرد على الذين يعتقدون باستحالة معرفة طبيعة النفس، والقائلين بإن العقول الإنسانية تقنعنا بإن النفس تفنى بفناء الجسم، بإستعمال أقصى ما تملك عقولهم من قوة لإظهار الحق.

فنجد إستجابة ديكارت لقرارات هذا المجمع من خلال تأليفه كتاب"تأملات في الفلسفة الأولى" الذي يدافع فيه عن التصورات الآهونية المسيحية عن النفس وخلودها. مؤكدا أن "مسألتي الله والنفس أهم المسائل التي من شأنها أن تبرهن جادلة الفلسفة خيرا مما تبرهن بأدلة اللاهون... فيقيني أنه لابد أن تقدر على إقناع الكافرين بهذين الأمرين أولا بالعقل الطبيعي" [2]، أي أن مسألة الوجود الإلهي ومسألة وجود النفس لا بد أن تثبت فلسفيا، لا عن طريق اللاهوت. ولا يكفينا أن نقنع الكفار بهذا الأمر باستعمال العقل والمنطق.

ثم قدمه إلى علماء الدين في كلية أصول الدين المقدسة بباريس، راجيا أن يشملوه برعايتهم، وأن يقتنع الناس بسمو النفس وخلودها.

وبمقابل هذا التمجيد والإعلاء من شأن النفس، يبقى الجسم هو دليل فنائنا. فهو الذي يذكرنا دائما بطريقة أو بأخرى في كل مالا نرغب أن تكون عليه أو نرغب في

1- منير الحافظ: الوعي الجسدي الإشارات الجمالية في طقوس الخلاص الجسدي، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 2012، ص102.

2 - عبد الله ابراهيم: المطابقة والإختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 79.

التغاضي عنه، وعدم التفكير به، عيوبنا، أمراضنا، موتنا،... فالجسد هو الذي يصاب بالهون والضعف، وهو الذي يموت ويفنى، والذي تظهر عليه اعراض الهون والضعف والأمراض فهو المرآة التي تعكس ما يدور بداخله وما يطرأ عليه من خارجه.

إنه مجرد كتلة لحم لا تفارق صاحبها، ولا يكسب منه شيئا، فهو كتلة مترابطة وتراكمة ومتصلة بعضها ببعض ولا تنفصل إلا بعد الموت. وبالتالي فالإنسان لا يكسب شيئا من لحمه، بل على العكس يجب عليه التغذية واللباس والرضوخ إلى كل متطلباتها المادية والبيولوجية.

ونظرا لطموح الإنسان الجامح ورغبته الدائمة في كسب المال، من خدمة الجسد وإشباع شهواته وأهوائه، وكثيرا ما وقع الإنسان في الحروب والمعارك بسبب رغبة هذا الجسد في بسط نفوذه، وإمتلاك الآخرين وإستعبادهموخير دليل على ذلك الإستعمار الإوروبي بمختلف دوله ضد دول العالم الثالث.

ولهذا كثيرا ما يرغب الإنسان في التخلص من جسده والعيش بعيدا عنه، وفي هذا الصدد نجد "غاموس غريقي " في كتابه " وحده البحر" يقول في هذا المعنى أنه من الأفضل لو أن الإنسان إستطاع التخلص من جسده، حتى لايصبح في حتجة إلى النوم والتنفس والسجائر، لكن رفض هذا الجسم لم يعد بإسم الحقيقة أو الفضيلة، بل باسم السلطة والحرية، ففكرة العيش في عالم لايعود فيه وجودا للجسم تؤدي إلى الرغبة في عدم الخضوع مجددا إلى ضغطاته، ولعدم اضطرار إلى تحمل نقائصه، وللخروج إلى النهائية التي يتميز بها هذا الجسم. ومن هنا نصل إلى أن الرغبة في التخلص منه كانت سابقة بسبب البحث عن الحقيقة والفضيلة التي كان الجسم يمنع النفس من الوصول إليها، أما الآن أصبحت الرغبة في السيادة والتحرر من قبضة السلطة وتحقيق إرادة الإنسان، بعيدا عن طلبات الجسد البيولوجية، وضغطاته الجسمية [1].

لعل هذا الإهتمام بالنفس على حساب الجسد، ومحاولة التخلص منه وتهميشه مرده إلى كون النفس متميزة عن الجسد في أن الحياة النفسية ليست ممتدة في المكان، ولا تتخذ سكن معين، وليس لها وزن ولا حجم، فالنفس غير مرئية ولا يمكن أن نحدد وزنها ولا

1- ينظر: ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، ص 112.

كتلتها ولا شكلها، فهي ملموسة. وبالتالي لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء، ولا تقبل الملاحظة الحسية أوالتجربة.

فهي ذات طبيعة لامادية، أو بالتالي لايمكن أن تؤرصد الذكريات وصور الخيال، وتحديد مضمونها على خلاف الجسد، الذي يتميز بطبيعة مادية ملموسة، تقبل التجريب والمراقبة الحسية.

وتقوم النفس في زمن طبيعي وزمن نفسي معا، فهي تقوم في زمن طبيعي لأنها سيل متصل ومتعاقب من الأحداث والحالات. وهو الزمن الخارجي الذي تعيش فيه النفس حياتها اليوميو وتصادف فيه مجموعة من الأحداث، كما تقوم في زمن آخر هو الزمن النفسي،الذي يكون فيه الإحساس بالحالات النفسية الداخلية، مثل القلق أو التردد، الفرح، على خلاف الجسد الذي يقوم في زمن طبيعي فقط.

إن النفس بصفة إتصال، والربط بين الحياة النفسية والتغيرات الجسمية المعقدة، يمكننا من القول أن يأكل، وهو الذي كان يمشي ويتكلم، دون أن يتغير الشخص، ودون أن يتدخل شخص آخر في هذه العملية. فالإنسانالواحد يمكنه أن يأكل ويمشي ويتكلم ويفكر لأن النفس تربط بين الحالة النفسية والبيولوجية لدى الإنسان.

ولأن الجسد هو المكان المغلق، المحدود،المظلم.والنفس هي القنديل الذي يضيئ هذا المكان، لما تزرعه من قيم ومبادئ تعطي بها قيم للإنسان في العالم الذي يعيش فيه، وتميزه عن باقي الجسمانيات المادية المحيطة به" [1] أي أن الجسد هو علة بالنسبة للنفس وهي الدواء الذي يعالجه، كما أنها – النفس – تميز هذا الجسد المعلول عن غيره من الجمادات التي توجد في محيطه.

I) ثنائية الروح والجسد في الفلسفة المعاصرة:

1- الجسد في الفلسفة المعاصرة:

لقد كان للجسد وجود منذ فجر التاريخ، وقد وجد مع وجود الإنسان وبه. وهذا الجسد يعبر عن تاريخ من خلال حالاته النفسية الجسدية، وتقلباته وتغيراته وأشكاله وتبدلاته. وهذا التغير والتبدل يعبر عن تغير في التاريخ، المعروف منه وغير المعروف.

1- محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، ص 63 – 65.

والقول: " في البدء كان الجسد"[1]، تعبر عن التاريخ وما كان فيه إحتواه وما سيكون فيه. ومن هنا يمكن تتبع التاريخ بما فيه ونقول كان الجسد ويكون الجسد، وسيكون فيما بعد. مادام يعيش ضمن هذه الحياة. وإنطلاقا من هذا يمكننا أن نغير نظرتنا إلى هذا الجسد، إذا علمنا أنه لا يمكننا أن نفكر إلا به "ولا نرى إلا عبره، ولا ترتقي إلا به ولا تتفكك إلا في ضله وعبره، ولا نكتشف محدودية وجودنا ونسبة معارفنا وتباين صورنا ووحدة تكويننا العضو ولانهائية غاياتنا..."[2]، أي أن الجسد يمثل كل الحواس الأعضاء. والتي من خلالها ينفاعل الشخص مع محيطه، وهو يضم كل شيء سواء كان محسوس أو غير محسوس.

وهنا يكون الجسد متشعب المواضع ومتعدد الوظائف، هنا نراه هو المعلم وأداة تعليمية بالنسبة للكائن البشري. وهو بهذا المعنى يتعامل مع المحيط الخارجي، ويتعرض لتأثيراتها السلبية والإيجابية. وهو أيضا يؤثر فيه، أي أنه متفاعل معها ويتجاوب أيضا. فالعين ليست عين فقط، بل هي رؤية حادة وجزئية كما أنها تميز كل ما تراه وتلمحه، والأذن ليس سمعا فقط بل هي صدى لما تسمعه، وما تستغيه بشكل خاص أيضا ما تترجمه. واللحم ليس مجرد لحم بل طاقة عاكسة للواقع والحياة، وما هي إلا ميزان للحرارة.

ومن هنا وبإعتبار الإنسان كائن مادي والجسد هو أساسه وبدونه لا يكون، وهو حياته وصورته في هذا العالم.فإنه يعكس تفاعلاته وتأثره بالعالم الخارجي والمحيط الذي يحيا فيه، وهو كالمرآة العاكسة لكل شيء، للمظهر الخارجي من جمال ومايحمله من صفات، مثل بياض البشرة أو سمرتها أوميلها إلى الحمرة، ولون العينين من الأزرق والأخضر والعسلي...وما إلى ذلك، وكذا لون الشعر وطوله وطول الجسد ــ القامة ــ وغيرها من الصفات.

كما أنه يعكس الصفات الداخلية، من صدق وكذب وخيانة وغدر وضحك وبكاء وفرح وحزن، وما إلى ذلك. ومن خلاله يمكننا أن نعرف طبيعة الشخص الواقف أمامنا وأخلاقه وإلى أي جنس هو ينتمي أبيض أو أسود، ومن أخلاقه نعرف ثقافته وعاداته وما

---

[1]– إبراهيم محمود: تدوين التاريخ جسديا الجسد الفردي والجسد الإجتماعي، كتابات معاصرة فنون وعلوم، دار العلم للملايين، المجلد السابع، العدد 26، شباط، أدار، د ط، 1996، ص 27.

[2]– إبراهيم محمود: تدوين التارخ جسديا الجسد الفردي والجسد الإجتماعي، ص 28.

تربى عليه وعاشه ثم " إن الإشارات الصغيرة عن الجسد" سيمياء الجسد" ترجع إلى ثقافة البيئة الطبيعية والإجتماعية، ويمكن القول عنها أنها ثقافة الأحياز الإقليمية، فضلا عن الحيز الجسدي (Body Space)"[1]، وكل حركة وإشارة تعبر عن شيء ما يريده هذا الجسد، فمثلا حين يعطيك شيئا فهو يبسط يده، وحين يمسك بشيء فهو يقبضه. وهكذا تكون لكل إشارة حركة خاصة بها من قبل هذا الجسد.

وإذا نظرنا إلى الجسد المزدوج ــ الرجل والمرأة ــ فإننا نجد هناك نوعا من التفاوت في الطبيعة والخلق الجسدي، لكنهما يكملان بعضهما. فبدون المرأة لا يكون الرجل وبدون الرجل لاتكون المرأة،فهما يشكلان صيرورة إنسانية وتاريخا مدونا من ذاته يحتاج إلى تدوين.

ثم إن الجسد هو طريق كل تجربة وباطنها ففي بداية الوجود حيث كان آدم وحواء في الجنة وكانت الشجرة المحرمة وأشتهيت ثمارها. مد آدم يده إلى هذه الثمار وقطفها وكان الفعل ــ القطف ــ باليد، وبه دفع بالثمرة المقطوفة إلى فمه، وبالفم مضغها ومن هنا كانت أول تجربة.

فالجسم هو الدافع وهو المحفز والمحرض، والأجساد تختلف عن بعضها كل وما يتلاءم معه، فهناك "أجساد أولمبية (قوية، عملاقة ومؤثرة)، الأقرب لها أجساد الأبطال الأسطورين. وهناك أجساد تبدو قزمة، وأجساد هزيلة أخرى بارزة مدورة، مكرشة أو مدعبلة"[2] وكل جسد يعبر عن حالة قائمة تتناسب مع المكان الذي هي فيه، فالأجساد الأولمبية أوالأسطورية تعبر عن فترتها. مثلا في الملاحم والأساطير نجدها قوية البنية والتكوين،وكذلك قوية التحمل وجلدة إلى درجة تخالهم فيها ليسوا بشرا. وذلك نطرا لما يحتاجة الموقف الذي هي فيه، وكذلك المكان الذي تشوبه الأخطار والعوائق. حتى يستطيع مواجهتها والتغلب عليها فالخيال هنا كان محقا في رسم هذه الأجساد بصورة عملاقة، ليستنطق ما في زمنه من أسرار ومجاهيل.

في حيث أن الأجساد القزمة تبدو صغيرة وقادرة على مواجهة ما قيل عن واقع الأجساد العملاقة، بل هي تتلاءم مع واقعها وظروفه، وهكذا لكل جسد واقعه، ولكن رغم

1- منير حافظ: الوعي الجسدي الإشارت الجملية في طقوس الخلاص الجسدي، ص 41.

2- إبراهيم محمود: تدوين التاريخ جسديا الجسد الفردي والجسدالإجتماعي، ص 30.

أن هذه الأجساد كلها متناسقة في صورتها، وتبدو دقيقة في رسمها، ولو نقلنا ما فيها ووضعناه في جسد آخر ستختل الصورة وتصبح عشوائية إعتباطية. فمثلا لو نقلنا العضلات البارزة من الجسدالأولمبي ــ عضلات اليدين مثلا ــ ووضعناهما للجسد القزم، سيختل تكوينه الخارجي. فكل جسد وما يتناسب مع صورته التي وجد عليها، ودوتها يفقد تناسقه ومقاييسه ويصبح مشوها مضحكا ومتداخلا مع بعضه.

وبإعتبار الجسد هو الجزء المرئي والأساسي من الكائن الحي، فقد عد هو مصدر الشهوة. وبالذات جسد المرأة كونها الخطيئة الأولى حيث كشفت عورة آدم وحواء، لأنها ــ حواء ــ من دفعت آدم للأكل من ثمار الشجرة المحرمة. ولهذا ذهب الغالبية ــ إن لم نقل الكل ــ إلى نبذ المرأة وإختزالها في كونها تابعة للرجل ومخلوقه من أجله، وأيضا كون حواء خلقت من ضلع آدم وخاصة القول بأنه ضلع أعوج، ولهذا السبب إعتبرت حرمته ومن ممتلكاته وهي فتنة بحضورها الجسدي الذي يفتن ويغري الرجل ويثير لذته وشهوته، وهذا ما يؤكد سلبية المرأة لكون الرجل يعتبر العنصر الفاعل.

ولكن نقول خلافا لهذا الرأي، ومع إحترامنا للرجل ودوره. أن المرأة في حقيقة الأمر هي الأكثر فاعلية قي هذه الحياة. بالرغم مما قيل عنها ومما قالوه أنها مصدر الخطيئة، ويقال أن حقيقة هذه الخطيئة لم تكن من حواء نفسها بمعنى "أنهما هيئا...لأكل الثمرة المحرمة. وقد كان بإمكان الخالق أن يحول بينهما وبين الإقتراب من الشجرة وأكل ثمرتها"[1]، أي إن حواء لم تحرض آدم، ولم تحثه على الأكل من ثمار الشجرة المحرمة. بل إن الأمر كان قضاءا وقدر من الله جل وعلا حتى يكون هناك سبب لنزولهما من الجنة، "وكشفت السوأة ليس سوى كشف حقيقة الجسد ومتضمناته إثر ذلك" [2] أي أن هذا الكشف كان سببا لبداية الوجود الإنساني على ظهر هذه البسيطة.

وصحيح أن الوجود الأول لآدم، لكن حواء هي التي علمته كيف يمارس نشاطه في هذه الحياة من أكل وعمل. وكانت عنصرا فاعلا غير متفاعل، لكن غطرسة الرجل وجبه للسيطرة والتميز، جعلته يلغي دور المرأة في هذه الحياة ويجعله ثانويا ما جعل النظرة إلى جسدها تمتاز بالإزدراء والتحقير، لكن رغم كل هذا فإن الجسد الأنثوي كان سببا لهذا

1- إبراهيم محمود: تدوين التاريخ جسديا الجسد الفردي والجسد الإجتماعي، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 28.

الوجود، وإستمرارية الحياة إلى يومنا هذا. كونها أنجبت وربت وعلمت وكانت إمتداد للعالم والطبيعة في ذات الوقت وعلى حد سواء.

وفي المرأة يقول "نيتشه": "لا يحلو له التصور أن هنالك، بالقرب من النساء، يمكن له أن يخلد إلى خلوة أناه المثلى، ففي تلك المواضع الوديعة يمكن لأعنف صخب أن يهدأ، ويتهيج ليصبح شبيها بصمت الأموات، وأما الحياة فتصبح حلما للحياة" [1]،وهو في قوله هذا يرد الإعتبار للمرأة، كون الرجل معها يحلو له العيش وهي بإمكانها أن تهدئ أعنف فوضى بداخله، حتى يصبح مطيعا ولينا لدرجة يشبهه فيها " نيتشه" بالأموات ــ وهذا فيه نوع من الصحة لدرجة ما ــ فحين نرى في نوبة من الغضب، و كأنه بركان ثائر أو بحر هائج. نجد المرأة تكون معه كالبلسم الذي يوضع على الجرح فيبرأ، وتكون كالماء الذي يوضع على النار فتخمد وتنطفئ، وهذا بفضل مالها من تميَز وما بجسدها من تأثير على جسد الرجل وهذا نظرا لتركيبة بنائها الفزيولوجي وما يحمل جسدها من سيولات هرمونية وهذه التركيبة هي التي تتدخل مع الرجل مما يجعله يتحد معها حتى يكون عنصرا واحدا، ويكملا بعضهما البعض وهذا يجعل من الرجل كما ذكرنا يصبح عكس حالته السابقة ــ الثورة والهيجان ــ حين تؤثر فيه المرأة.

ومن هنا نرى واجب ولزوم إنصياف المراة، وأقول بأنها لم تكن الكائن الذي وصفه الكائن المزدوج الذكوري. على أنها مجرد تابعة له وخادمة لشهوته ورغبته، ويقال أن الجسد كان جسدا واحد غير أن الألهة هي التي جعلته يتكون من جزء واحد، أما جسد ذكوري أوجسد أنثوي على عكس ما كان عليه سابق فقد كان الجسد واحدا ولكن الألهة هي التي جزأته ومن هنا نرى السبب الذي يجعل كلا الجنسين يبحث عن نصفه الآخر، ولا تتحقق سعادته إلا بوجوده والعيش معه وذلك يحققه الحب المتبادل بينهما. مما يؤكد لنا أن الجسد مهما كانت صورته، هو في حاجة إلى غيره وليس فقط إلى نصفه الثاني وذلك في تواصله وإتصاله مع الآخرين لتحقيق أهدافه ومساعيه.

وجسد الأنثى كان قديما مسخرا لخدمة الأسرة فحسب، في حين كانت مهمة الذكر هي الخوض في الصرعات والحروب. وقد كان الجسد الأنثوي حينها معبودا لفترة "أكثر

1-إبراهيم محمود: تدوين التاريخ جسديا الجسد افردي والجسد الإجتماعي، ص 28.

من إثنى عشر ألف عام"[1]، وبعد هذه الفترة المديدة حاول الذكر العبادة لصالحه، بعدما كانت محصورة في في النسق الأمومي كما يقول العلماء الأنثربولوجيا وصار الجسد الأنثوي مباحا، أمام قوة وجبروت الرجل الذي أصبح مهيكنا وذلك لضعه.

ومن هنا من خلال قراءاتنا لبعض الأساطير نجد أن أول جسد عبد كان جسد أنثى وأقيمت له تماثيل ومنحوتات من صخور عبلاء، ورسومات متنوعة في الكهوف والجبال والمغارات، نظرا لدورها في الإستمرارية والتواصل عن طريق الإنجاب وقد قدمت لها القرابين تبركنا بها وطمعا في رضاها وخيرها وإحسانها عليهم.

2- الروح أو النفس المعاصرة:

إن كلمة النفس تعبر عن مجموعة من جوانب فهي حضور منفرد الدين، وهو كذلك في اللغة، وفي الفلسفة. في كل جانب يتعامل معها حسب معطياته وقوانينه. والنفس لها معنى في كل جانب وصوب وتوجهها إليه.

ونحن نستخدم الروح والنفس بمعنى واحد، لكنهما في حقيقة الأمر ماهيتان مختلفتان تماما، فالروح شيء والنفس شيء آخر لا تلتقي معها. إذ أنه " من المعروف أن النفس بمعزل عن الروح"[2]فالروح هي من أمر إلهي، في حين نجد النفس شبيهة بالجسد، وهما تقريبا شيء واحد.

ويتفق جميع الفلاسفة على أن الحياة النفسية والعقلية في الإنسان حقيقة واضحة لا يختلف فيها إثنان وهي " إن الإنسان ظواهر نفسيةوحالات نفسية وحوادث عقلية" [3]، لكن الأخلاق هنا وبين الفلسفة وهو في طبيعة هذه الحياة النفسية والعقلية هل هي مادية أم لامادية؟ هل هي حسية أو مجردة؟.

ويقول بعض الفلاسفة أن هذه النفس. هي حاجة إلى جوهر Subestance تقوم عليه، وينكر فلاسفة آخرون وجود هذا الجوهر بالضرورة، والقائلون بوجود الجوهر

1- منير الحافظ: الوعي الجسدي الإشارات الجسدية في طقوس الخلاص الجسدي، ص 109.

2- غيثاء قادرة: لغة الجسد في أشعار الصعاليك تجليات النفس وأثرها في صورة الجسد، ص 15.

3- محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، ص 71.

يعتبرونه الأساس الذي يفكر به الإنسان في حين المنكرون هو عندهم مجرد شيء ثانوي لا طائلة من وجوده، وعدمه يكون أحسن.

والذين يقولون بأن النفس جوهرا هم كثرن كرمت أبرزهم أفلاطون، ديكارت، لوك، بركلي، ليبنتز، ومن المفكرين للجوهر نذكر مالبرانش وهيوم.

والفلاسفة يسمون " النفس العاقلة الإنسانية، المسماة عندهم بالناطقة، العاقلة" [1].

وسميت بالناطقة لأن النطق من مميزات النفوس العاقلة، ونقصد بها الإنسان كونه هو الكائن الوحيد الناطق وذلك بفضل العقل الذي خصه الله بهدون سائر المخلوقات، فهو له صفة حيوان كغيره من المخلوقات وأضيفت له صفة ناطق لتمييزه عنها، ففي كثير من الآيات القرآنية تدل على الصفة للإنسان، ومنها قوله تعالى " أفلا يعقلون" [2]وهو بهذا يخاطب ذوي العقول من البشر.

وإذا نحن نظرنا إلى الكائن البشري نجده مكون من جزئين، جزء نفسي، وجزء جسدي، فالجانب الروحي هو الجاني اللامادي الذي لا نراه نحن والذي من خلاله يتأثر الإنسان، ويتغير من حال إلى حالوذلك وفق الظروف، وما يعيشه في هذه الحياة، أما الجانب الجسدي هو الجانب المرئي، أي هو الجانب المادي والذي من خلاله نرى حالة الشخص، وهو المرآة التي تعكس الحالة النفسية لصاحبها فإذا كان مرتاحا نفسيا أو نتعبا فإن هذا يظهر على جسده.

ونحن هنا بصدد التركيز على النفس التي هي مصدر هذه التقلبات في الإنسان، والتي هي كما يقال " علة حدوث الحالات والحوادث ومصدر توجيهها" [3]، أي أن هذه النفس هي أساس التقلبات والتغيرات التي تحدث على مستوى الجسد. فبدونها لا إمكانية للجسد في أن يشعر أو يحس بأي شيء، كونها هي جوهره وأساسه ولأنها تحس وتتخيل وتشك وتتفاعل وتتجاوب بالسلب أو بالإيجاب.وهي التي تحرص الجسم وتحثه، فيظهر عليه تأثيرها. وهذا ما يؤكد الوجود الحقيقي للجسد.

1- أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، ت: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا ـــــ بيروت، ط 1، 2001، ص 187.

2- سورة يوسف: الآية 109.

3- محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، ص 48.

وتعتبر هذه النفس عند بعض الفلاسفة مرادفة للعقل والتفكير، والذي قال بهذا الفيلسوف رينيه ديكارت في قوله "أنا أفكر إذن أنا موجود".

II) الجسد عند نيتشه:

يهدف نيتشه من وراء فلسفته إلى القضاء على كل ما يحط من قيمة الإنسان، وذلك يجعل الإنسان يؤمن بعالم غير العالم الذي نعيش فيه ــ العالم الأرضي ــ وهذا العالم المخالف لعالمنا هو عالم متعال ــ يمكننا أن نشبهه بالعالم المثالي أو ما يسمى بعالم المثل ــ مما جعله يتحتقر الجسد المفكر ويكبح حقوقه وما شرع له باسم الفضيلة.

غير أن كونه عالم متعال لايسح له بالحط من قيمة غيره من العوالم، لأن كل عالم له قيمته ولو هذه القيمة لما وجد هذا العالم. فكل عالم له خصزصيته وميزته التي يمتاز بها وتفرده عن غيره و" هذا ما رفضه نيتشه، فإنتفض وكله عزم على إعادة الإعتبار للحياة على الأرض، وللجسد لكونه عنوان أنخراطنا في هذه الحياة" [1] ، أي أن نيتشه يرفض فكرة العالم المخالف للعالم الأرضي، وهو عازم على إعادة الحياة للأرض، من جديد بعدما سلبت منها حياتها وحياة الجسد فيها. وهذا الأخير يعتبر هوية الإنسان في هذه الحياة وعلى ظهر هذه البسيطة.

ثم ان الفلسفات القديمة إحتقرت الجسد وإشهرات بقدرته وإمكانياته حين إعتبرته سجين للروح، كونه يمنعها من حريتها وحقها في أفعالها، وظنت أنها تستطيع الخلاص من هذا الجسد ومن الأرضالتي يعيش عليها، وهي لم تعطي للجسد حقه وعزمت على الخروج منه ومغادرته إلى العالم المتعالي والذي تعتبره موطنها. وقد كان موت الفرد نوع من هذه الحالات حيث قالوا بمغادرة الروح للجسد الذي أعتبره سجننا إلى موطنها الأصلي والذي هو عالم المثل.

وقد أرتكبت المسيحية جرائم بشعة ضد الجسد، بإعتبارها له سجن الروح، وممكمن الرغبات والشهوات الإنسانية والنزوات التي تجعل منه شبيها بالحيوان. مما يفقده إنسانيته وقيمته العالية، وطالبت بالقضاء على كل ما يغلي. والذي يمكننا نحن ان نشبهه ببركان

1- صالح الفرياضي: مفهوم الجسد عند نيتشه، الموقع الإليكتروني www. Akkaber.arabllogs.com ، الجمعة 26 فبراير 2010.

طائر في إندفاعه وهجومه،والفكر ــ ونقصد به نحن هنا الروح ــ إعتبرته مكمن وجود الفرد وإستمراره.

هكذا هو تصور الجسد، وهو تصور سلبي مفقد للإنسانية، بعيد تمام البعد عن الحياة الحقيقية، والتي لا حياة غيرها ولا بعدها. " لطلك سيعلن نيتشه أنه قد آن الوقت الذي يجب أن نعيد فيه إعتبار لهذا المدان دون جريمة إرتكبها، ليصبح الجسد " الذهن الأكبر بينما الروح" ذهنا أصغر" [1]، وهو في الوقت الذي يقصده يصف الجسد بأنه مدان، ولإعادة الإعتبار له ويجعله ذا قيمة أكبر من الروح حين قال إن الجسد يصبح الذهن الأكبر، وهو هنا يعليه على حساب الروح. وهذه الروح هي مجرد أداة تطيع الجسد، فهي مثل اللعبة، حيث يتحكم فيها الجسد كما يشاء، يوجهها حيث يريد.

والجسد النيتشوي بمثابة الحياة في جميع صورها وملامحها حيث أن الحياة اليوم تحي كل ما مضى لو كان قريبا من اليوم، وذلك بجريان سيل عل ماؤه يتدفق وينفذ من كل صوب وحدب، فهو ومهما كانت صفاته يمثل صورتنا في هذه الحياة وخريطتنا في الوجود، وهو بمثابة الأرض الأولى.

وهو الأساس الذي تقوم فيهه وعليه الروح، فلولاه لما كانت له صورة في الأرض. "نيتشه":" يشيد بالجسد ويعده أعظم من الروح بكثير فالشعور أو الروح او النفس بالنسبة إليه شيء فقيرضيق النطاق محصور، بل إن هذا الشيء ليس إلا أداة تقوم بخدمة الجسد" [2]، والجسد هو من يعلن إنتماء الروح إلى عالم الأرض، وهو جسر التواصل مع الازمنة، ماضيها وحاضرها. كما أنه دائم الحركة بهدف استكشاف المجهول.

ويرجع نيتشه إلى الجسد دور التفكير ومهمته، إذ يعتبره الأداة العظمى في التفكير، حيث لا يمكن تصور الفكر خارج الجسد، أي لا يمكن تصور وإعتقاد أن المعرفة يمكن أن تحصل لولا وجود هذا الجسد.

وهنا نجد " نيتشه" يعارض ما جاء في تصور "سقراط" و" أفلاطون" :" اللذان يعتبران الروح مركز الفكر وجوهره وأن الإنسان مقدس بروحه وفكره، وحزين مثقل

1- صالح الفرياضي: مفهوم الجسد عند نيتشه، الموقع الإليكتروني www. Akkaber.arabllogs.com ، الجمعة 26 فبراير 2010.

2- حميد مجدي: الحقيقة والجسد، عن الموقع الإليكتروني www . maaber. org

الكاهل بجسده"[1]، ذلك أن الجسد حمل ثقيل كما يرهق الروح ويعذبها بطلبتاته، رغباته، وأهوائه. حيث يعتبر "نيتشه" الجسد مصدر الأنا المسؤول عن كيفية صناعتها، بمعنى أن الجسد هو المسؤول عن تكوين شخصية الإنسان لإحتوائه على العقل الذي يعتبر خير حكمة في الإنسان.

وبهذا يكون الجسد هو القائم على ذاته ولا يحتاج لقوة خارجة عنه لتقويم مقامه، حيث يمثل القطيع والراعي في الوقت نفسه.

ولكي تصل الروح إلى الحقيقة والفضيلة إخترقت أسوار الأبدية التي ترغب فيها، وعليها أن ترجع إلى مرتعها في الأرض، أي إلى مملكة الجسد، لأن الذات هي محفزة، ومشجعة للوصول إلى الحقيقة، والغوص في عوالمها الخفية. وهي المكان الذي يجمع كل شتات الكون، وبهذا تصبح الروح "ذلك الصدى الناجم عن الجسد والتابع له" [2]، أي أنه مجرد ترديد لما يقوم به الجسد وبهذا تكون صورة له وتابعة إليه.

وكان أفلوطين قد وضع معادلة أساسها أن "المقدس والمدنس تقابلان الروح والجسد على الترتيب "[3]، ومعنى هذه المعادلة أن المقدس بنظرة أفلوطين هو الروح، والمدنس هو الجسد، فهو يشيد بقيمة الروح هنا إلى درجة تصبح فيها مقدسة، ويعليها ويرفع من شأنها. وعلى العكس منها يحط من قيمة الجسد، ويقول عنه بأنه مدنس، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، لماذا هذا التفريق؟ ولماذا هذه المغالات في حق الروح بالإجاب وفي حق الجسد بالسلب؟ ما الذي فعله الجسد حتى يلقى هذه النظرة المخزية؟

لكن ورغم كل ما وجه إلى هذا الجسد المسكين من إتهامات، ومن صفات دنيئة، إلا أنه وجد من يدافع عنه، ويعيد إليه حقه، وكان هذا "نيتشه" الذي "قام بقلب هذه المعادلة على نقيضها، فأصبح المقدس هو الجسد والمدنس هو الروح" [4]، أي أنه كان ضد ما قاله "أفلاطين". من خلال قلبه لهذه المعادلة هو يرد الإعتبار للجسد، ويعلى من شأنه ويرفع

1- ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، ص 16.

2- فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 57.

3- عبدالكريم عنيات: نيتشه والإغريق إشكالية أهل الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2010، ص 243.

4- عبد الكريم عتيات: نيتشه والإغريق إشكالية الفلسفة، ص 243.

من قدرة. ويحط من قيمة النفس بقوله عنها بأنها مدنسة في مقابل الجسد. وهو يرفع عنه كل الظلم والضيم الذي لحقه قبل أن يأتي هو ــ"نيتشه"ــ.

ويقول "نيتشه" أيضا: "مادام جسمي جميلا" [1] فهو هنا يصف الجسم بالجمال، أي أن الجسم الإنساني جميل، ونحن نجد هذا صحيح من ناحية ما، فكل إنسان على هذه الأرض هو جميل مهما كان شكله، المهم أن يكون كاملا في تركيبته العقلية، وهذا الجمال يتجسد في كون كل عضو موضوع في مكانه وفي موضعه المناسب. فلا نجد العين مكان الأنف، أو الفم في مكان الأذن، وما يقال:جمال الخالق يتجسد في المخلوق، أي أن الإنسان هو مرآة يجسد الله فيها جماله ويعكسه فيه.

وهنا نجد "نيتشه" قرر أن يخوض حربا شعراء ضد فلاسفة الروح والمعلين من قيمتها، وهذا لأجل أن ينصر الجسد ويرفعه عاليا، ليصبح محط أنظار والإهتمام. ذلك لأن "ظواهر الجسد أكثر من ظواهر الروح أوالنفس" [2]، ونفهم منه أن الشيء الظاهر في الجسد أكثر منه في الروح. فنحن في الجسد نستطيع أن نرى اليد، والقدم، والوجه، وفي الوجه نرى الأنف، والفم، والعين، ذلك لأنه مادي ملموس، في حين أن الروح لا نستطيع أن نرى منها شيئا، فهي معنوية. ونحن نراها من خلال حركة الجسد وبقائه على قيد الحياة. ودون ذلك فنحن لن نصل إليها ولن نراها مهما فعلنا، ومهما حاولنا.

وأيضا نجد "نيتشه" يرى "أن الجسم هو سيد جبار وما الروح إلا أداة" [3]، أي أن الجسم هو القائد والروح هي مجرد وسيلة يتحكم فيها الجسد، وهنا نجد أن الجسد هو القائد والروح عنصر المنقاد يسيرها الجسد،ويتحكم فيها. بهذا يؤيد فلاسفة الروح حجتهم فيما يظنونه، بأن الجسد هو سجن الروح، وبهذا فهو يعطيهم السلاح الذي يحاربونه به ضد ما يقوله وما يسعى لإثباته.

وهو هنا يعلي الجسد، ويحطم قيمة النفس بقوله "سيد جبار"، وهذا الجبروت يتمثل في قيادته للنفس وتحكمه فيها.

1- فريدريش نيتشه: ديوان نيتشه، تر: محمد بن صالح، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط 2، 2009، ص173.

2- المرجع السابق، ص20.

3- ميشلا مارزانو: فلسفة الجسد، ص06.

III) الجسد عند ميرلوبونتي:

يعطي ميرلوبونتي للجسد أهمية كبيرة، وذلك لقدرته على "تجاوز المشكلات الكبرى التي تركتها الفلسفات التقليدية بدون حل: مثل مشكلة التعارض بين الشيء والفكر، والذات والموضوع، والمادة والروح، والذهن والبدن" 1. وغيرها من المشاكل، وهي مشاكل مازال الخوض فيها والجدل حولها قائما حتى اليوم بين الفلاسفة، على إختلاف إتجاهاتهم وتخصصاتهم، فكل يحلل على هواه، ووفق ما يقتضيه منهجه ويتطلبه عصره.

وميرلوبونتي مثله مثل نيتشه، يحاول إعادة الإعتبار للجسد، بعدما تعرض هذا الأخير للذل والإهانة بقدر لا يحتمل. وقد حان الآوان ليتواضع العقل ــ الروح ــ ويفتح المجال للجسد حتى يعلو شأنه ويصل المكانة التي يستحقها ويبلغ قيمته.

والجسد عند فيلسوفنا ــ ميرلوبونتي ــ كأنه مادة من مواد الكيمياء السحرية، حين يتعامل معه، كما يتعامل مع المحاليل الكيميائية في تحولاتها فالجسد "يتحول من جسم إلى جسد، ومن جسد إلى عنصر، ومن عنصر إلة مركبة العالم، ومن مركبة العالم إلى محور العالم، ومن محور العالم إلى قلب الوجود" [2] فهذه التحولات التي يشهدها الجسد إنطلاقا من كونه جسدا، حتى يصير قلب الوجود مرورا بالمراحل الوسطى المذكورة، تشبه التحولات الكيميائية للمحاليل في المخابر. حيث يتحول من حالته الطبيعية ليصل إلى النتيجة المرجوة مرورا بعدة مراحل.

ونحن حينما نضع أنفسنا في إطار التفكير والتدبر، ربما يأتي أما نسأل عن حقيقتنا، وعن ماهيتنا وما نمثله في هذا الوجود، ويجيب ميلوبونتي "نحن وعي وموضوع معا وكل ما فينا نفس وجسد"[3]. فتحليل الجسد يقودنا لنعرف أنه مكون من نفس وجسد، أي أنه شيء مركب من عنصرين أساسين لا غنى لأحدهما عن الأخر. وغياب أحدهما يؤدي بالضرورة إلى غياب الأخر، وهذه حقيقة لا يختلف فيها إثنان، ولا يحتاج للمنهقشة ولا للتحليل. وهكذا من هنا لا يحق لنا أن نقول بأفضلية أحدهما على الأخر، أوأن الجسد يمكنه أن ينفصل عن الروح، ولا الروح بإمكانها أن تنفصل عن الجسد.

1- إشراف جمال مفرج: كوجيتو الجسد، دراسات في فلسفة ميرلوبونتي، من الموقع الإلكروني.

2- عمر مهيبل: كوجيتو الجسد، دراسات في فلسفة ميرلوبونتي، من الموقع الإلكتروني، www.good redds.com.

3- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، ص 19.

فكل منهما متصل بالأخر برباط وثيق، لا يمكن حله، وبهما معا نوجد نحن في العالم وفي عيون غيرنا، ويقول "ميرلوبونتي": "إن الجسد كانت في العالم كالقلب في الجهاز العضوي"[1]، فالقلب ونبضه كالجسد وحركته، أي أن القلب دليل على حركة الجهاز العضوي، دليل وجود أيضا على قيد هذه الحياة.

وكذلك الجسد أبضا دليل على وجود الكائن الحي بصفة عامة، والإنسان بصفة حاصة في هذا العالم وإنتمائه إليه، وليس الجسد أيضا كما قيل عنه، أنه قبر الروح، فهو ليس مجرد حيز تسكنه هذه الروح وتعيش فيه، ثم تغا دره إلى عالمها المتعالي، وكما سبق وأن أشرنا، أن الجسد هو الجزء المرئي من الإنسان، وبه تثبث وجوده على وجه الأرض وإنتماءه إليها.

وبالنسبة لعبارة قبر الروح ، فالجسد بمثابة منزل تأوي إليه الروح في زمن من الأزمان، ونطرح السؤال: لماذا يقال أن الروح تغادر الجسد في الليل وتزور أماكن، وذلك دون أن تصحب الجسد معها؟ ــ نقصد هنا عن طريق الأحلام ــ وهي حقيقة مثبة علميا.

إذا فالحسد ليس سجن الروح، فهي موجودة و تعيش داخله وكأنها مشاجرة فيه زمنا ثم تغادر، وهذا ما ينفي عنه صفة كونه سجنا لها ومتحكما فيها، ولو كانت له القدرة على التحكم فيها، فلن يمر عليه وقت تغادره يتعرض هو للتعفف وبعدها الفناء، وتنسى صورته ويغيب ذكره في هذه الحياة. "فالإنسان يعيش جسدا مدمجا في وسط العالم، ومسألة الجسد عند ميرلوبزنتي في إطار الوعي بالعالم وإعادة تشكيل رؤية جديدة له" [2]، فالإنسان يوجد في هذا الكون، ويتدخل معه وبين عناصره الموجودة فيه، ويتعامل معها بشكل دائم، ويتواصل مع من هم مثله، ويبادلهم المنافع والمضار، المقرج والمؤلم، وهذا مانسميه نحن الإنسان ضمن إطاره الإجتماعي ، والذي نقصد منه على وجه الخصوص أسرته ومن هم قريبون بشكل حقيقي ــ الأخوال، الأعمام، الخالات، العمات وأبنائهم ــ فوجوده هذا ليس وجودا إعتباطيا هكذا المجرد الوجود فقط، فهذا كله تأتي من ورائه حكمة وعلم لا يعلمه إلا الله.

1- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، ص 19.

2- المرجع نفسه، ص 18.

وأيضا جسدنا هذا وجد لعبادة الله عز وجل، يقول تعالى: "وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون"[1]، أي أن الله خلق الفرد بجسده ليسخره لعبادته وتوحيده وجمده، وهذا العنصر نجده واضحا مع الشرح الملائم له مع مواضيع المتصوفة وآرائهم حوله.

1- سورة الذاريات،الآية 56.

ثانيا:

ثنائية الروح والجسد

في

نظرة المتصوفة

ا)أصل التصوف وإشتقاقه:

بداية وقبل أن نتحدث عن ثنائية الروح والجسد عند المتصوفة إرتأينا أنه لابد أن نعرج قليلا على هذه الطائفة وعن أصل تسميتها والسؤال المطروح لماذا أطلقوا على أنفسهم هذا الإسم؟ وما أصله؟ وما الذي يعنونه من وراء هذه التسمية؟

لقد نقل الطوسي أبو نصر السراج [1] في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي، عن صوفية أنه قال: "كان في الأصل صفوي، فإستثقل ذلك، فقيل: صوفي، ويمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكناد: هو مأخوذ من الصفاء" [2]

وقال بشر بن الحارث: الصوفي من هتف الله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته.[3]

وفي التصور الإسلامي ليست مذهبا بل أحد أركان الدين الثلاثة (الإسلام، الإيمان، الإحسان).

ويقال أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف وخاصة القائلين بوحدة الوجود والحلول بدءا من أبي اليزيد البسطامي وسهل التسترى، والترميذي، وإبن عطاء الله الإسكندري، وابن سبعين وغيرهم، وهؤلاء أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والإشراق مع الآراء الأخرى التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثة. [4]

والصوفية وبحسب فهمنا لها، هي الزهد في الحياة الدنيا والإبتعاد عن الشهوات وكل المغريات التي توقع النفس والروح البشرية في المعاصي والمحرمات، كما أنها تعني التعمق في أغوار الروح بالطاعات والعبادات وتوحيد الله سبحانه.

ا) النفس في نظرة المتصوفة:

يقول إبن سينا: "لقد هبطت النفس إلى هذا العالم وسكنت الجسد فلا بد أن تحن وتضطرب وتخلع عنها سلطان البدن وتتسلخ عن الدنيا لنصعد إلى العالم الأعلى" [5]أي أن النفس مقرها هو العالم العلوي وهي قد هبطت إلى واقعنا وعالمنا وإستقرت في الجسد

1- هو أبو النصر عبد الله إبن علي السراج الطوسي، الملقب بطاووس الفقراء، توفي في رجب 378 هـ .

2- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ زالمصادر، إدارة الترجمان السنة، باكستان، ط 1، 1986، ص20.

3- المرجع نفسه، ص 20.

4- المرجع نفسه، ص 121.

5- المصدر: موقع جريدة الصباح الإلكتروني: عن الموقع الإلكتروني، www.alsabah.com.

الذي وجدت فيه حيزا لها، وأرادت أن تنسلخ منه ومن سيطرته عليها وذلك عن طريق ما كان يصيبها من الإضطراب وكذا حنينها إلى عالمها الأرفع، لأنها تعتبر البدن سجنا لها وهو يضيق عليها ويمنعها من الحركة التي كانت عليها قبل نزولها ودخولها في الجسد.

فالنفس من قبل كانت تصول وتجول قي هذا الوجود الواسع وتفعل كل ما يحلو لها وما يستهويها وبدخولها إليه شلت حركتها وأصبحت مقيدة بحركة الجسد وخاضعة له فإذا تحرك تحركت وإذا سكن كانت كذالك أضف إلى كل هذا في حقها إذا قام الجسد بفعل مخل كان اللوم على النفس ويقال عنها أنها آمارة بالسوء، أي أنها هي التي دفعت الجسد ليقوم بذلك العمل المشين والمحل، أ ليس هذا إجحاف في حق النفس وظلمها؟

كما أنهم ــ المتصوفة ــ يرون أن النفس وهي داخل هذا الجسد لا تشيخ ولا تهرم...ولا تجري عليها طوارئ الزمان التي تجري على الجسد... فهي من جوهر آخرغير مادة الجسد الكثيفة المركبة التي يطرأ عليها التحلل والفساد [1]، أي أن النفس داخل الجسد عنصر ثابت يبقى كما هو ولا يتغير مهما جرت عليه من إضافات ومن تأثيرات الزمن والعوامل الخارجية، على خلاف الجسد الذي يؤثر فيه كل شيء، فمرور الزمن عليه يجعله يكبر كما في السن، ولحمه يصير مترهلا ومتجعدا، وعظمه يصير هشا، وتتغير قدرته حتى على الحركة حيث يصبح غير قادر عليها، فلا يتحرك إلا بمساعدة كرسي متحرك أو عكازات يتكئ عليها الجسم ليتنقل من مكان لآخر ويقضي حاجاته.

فالنفس مكونة من مادة هي غير المادة التي يتكون منها الجسد وهذه الأخيرة ــ مادة الجسد ــ تتعرض للتحلل والفساد والتعفن إذا مر عليها زمن طويل. "وقد أجاب أحد العارفين حين سئل عن أسباب ثقل الجسد حين مغادرة الروح له، أجاب: أن الجسد منشد ومنجدب إلى أصله... إلى الأرض (هذا طينك يا الله) [2] والمقصود هنا أن الميت حين يحمل عند الجنازة يكون ثقيلا على من يحمله، ونرى أن عدد الحاملين في الجنازة قد يزيد في بعض الأحيان عن أربعة أشخاص وذلك ليتقاسموا الثقل فيما بينهم ويرجع السبب في هذا الثقل إلى جاذبية الأرض له والتي تعد هي أصله ومنشأه، فهو مصنوع من طين وآدم من طين ثم نفخ الله فيه من روحه، ومن هنا نفهم أن الروح تساهم بقدر لايهمل في تخفيف

1- مصطفى محمود من كتاب الإسلام ماهو؟ .www.dmostafa mahmoud .blog stop.com

2- *المصدر*: موقع جريدة الصباح.www.alsabah.com

الثقل عن الجسد، فهي عندما غادرته زاد في الثقل وحين كانت فيه كان خفيفا، أي أنها كانت تسمو به وترفعه عن الأرض، وهنا نراه يشيد بالنفس ويفضلها على الجسد الإنساني.

- النفس وتعريفاتها عند الصوفية:

وقد إختلفت تعاريف النفس عند الصوفيين كل بحسب ما يراه وما يعتقده إذ وردت تعاريف عديدة ومختلفة نذكر منها تعريف الشيخ أحمد البوني يقول: "النفس: هي ألطف المخلوقات وأشرف الموضوعات لأنها عالمة بالله تعالى علما لم تبلغه الأجسام لكثافتها وإليها إنتهاءالمعرفة العلمية، ومنها يكون الإرتقاء إلى معرفة الباري جلت قدرته، فهي الطريق القويم والسراط المستقم فالنفس أنموذج لطيفة أودعها الله في هذا القالب، وجعلها محل الشهوات والأخلاق الرذيلة" [1] وهو هنا يعتبر النفس مخلوق من المخلوقات وهي أيضا موضوع ولها صفات اللطف والشرف والعلم، كونها تعلم أكثر من علم الجسد. وذلك راجع لخفتها على عكس الجسد الكثيف، وبها يتوصل إلى معرفة الله وقدرته كما أنها تعد مصدر الشهوات والرذائل داخل الجسد.

ويعرفها الشيخ الأكبر إبن عربي: ويقول: "النفس بحر لا ساحل له" [2] أي أنه يشبهها في إتساعها وكبرها بالبحر لكنها بحر من دون ساحل ونفهم من هنا أنها تعادل هذا البحر وتفوقه في الإتساع حيث يقول أنها من دون ساحل، ونحن نعرف أن البحر رغم كبره إلا أن الساحل يحدد نهايته والمقصود هنا بالساحل هو الجسد فرغم كونها داخله إلا أنه لا يحد من إتساعها.

ويعرفها الشيخ إبن عطاء يقول: "النفس: هي عبارة عن كل خلق مذموم" [3] والقصد هنا أي النفس هي صورة لكل ما هو مذموم ومرآة له، ونلجأ هنا في هذا التحليل إلى "النفس آمارة بالسوء" أي أن هي من تحث الجسد وتحرضه على فعل السيء والمحرم وتدفعه إليه وهذا ما نقصده بالمذموم وأن كل شيء ترد فيه النفس هو مذموم وليس هذا فقط عند الإنسان.

1- النفس عند الصوفية... ج 1، الأربعاء يونيو 01 ـــ 2011

2- المرجع نفسه.

3- المرجع نفسه.

ويعرفها الشيخ بن سبعين: "النفس: هي بالجملة جوهرة روحانية بسيطة مفارقة للمادة، علامة بالقوة، فعالة بالطبع، والنطق صورة لها وصفة لها" [1] ونفهم من هذا أن النفس بسيطة غير مركبة، فهي جوهرة متكاملة فيما بينها روحانية سماوية تختلف في أصلها عن الجسد، مفارقة له بعد الموت، وأنها مصدر المعرفة وأساسها خلقت من أجلها، وليست هي من اختارت أن تكون عالمة. ومن طبيعتها أن تكون مصدر الفعل والحركة ومصدر النشاط والفعالية؛ فالنطق صورة من صور فعاليتها وقدرتها على الحركة وصفة من صفاتها، فإذا إختفت النفس اختفت معها هذه الصورة وهذه الصفة وكل الصفات الأخرى المتعلقة بها والدالة عليها.

ويعرفها الشيخ عبد القادر الجزائري: "النفس: هي حقيقة واحدة، و لكن تعددت بإعتبار تعدد صفاتها وتباين مقتضياتها فيقال: "أمارة، لوامة، ملهمة، مطمئنة؛" وهنا النفس نفس واحدة لا زيادة عليها ولكنها ذات صفات متعددة فهي أمارة بالسوء تدفع صاحبها إلى الإثم والمعصية وملهمة؛ أي أنها هي مصدر إلهام أي أنها تلهم الفرد وتدفعه إلى الإبداع فيما يقوم به فينتجه كأحسن صورة ويقدمه للآخرين، وهي مطمئنة لقوله تعالى: "يا أيتها النفس المطمئنة" أي أنها مطمئنة لربها ومسلمة أمرها إليه آمنت به وعملت بما أمرها و رضيت بما قدره لها فحق لها أن تنال رضوان ربها وتدخل الجنة.

ونفهم من جملة هذه التعريفات أن المتصوفة في وضعهم تعريفات للنفس إنقسموا بين ممجد لها، رافعا من قيمتها جاعلها مصدر العلم والمعرفة، ومصدر الحركة والفعالية الهادية إلى السراط المستقيم والطريق القويم، اللطيفة في صفاتها، السماوية في أصلها الواسعة التي لا تحدها حدود.

وبين حاط من قيمتها جاعلها مصدر الشهوات والرذائل داخل الجسم الذي وضعت فيه، فكان كل شيء متصل بها مذموما مكروها، ولأنها متعددة متقلبة فإنها تدفع بصاحبها إلى السوء والأذى مرة، وإلى الإلهام والإبداع مرة أخرى.

1- المرجع نفسه.

II) الروح عند صوفية الإسلام:

وردت الروح في الإسلام بعدة معان وذلك تبعا لتعدد السياقات التي وردت فيها، ونعلم أن تعدد السياق يغير في المعنى، وهنا نذكر المعاني التي وردت.

لأن الله هو خالق الروح وهو أعلم بها، وهي من أمر الله تعالى وحده فإنه لا سبيل لمعرفة أي شيء عن الروح إلا من الله تعالى، أي أنه لا يمكن الوصول إلى كنهها إلا بتتبع القرآن والتمعن في السياق وتحليله بحسب ما يقتضيه الموقف.قال تعالى: "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" [1].

وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الفرح والقوة والقدرة، يقال الروح بفتح الراء وهي تختلف بضمها لأن الفرح من الشدة و القوة على كل شيء هي أمر من الله تعالى وحده لا يشاركه فيه أحد والإيمان بهذا وجب والشك فيه كفر والقنوط من الكبائرقال تعالى: "ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" [2] كما وردت بمنعى الخلق والرحمة يقول تعالى: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثه إنتهواخيرا لكم إنما الله إله واحد" [3]

تدل على الراحة والإستراحة ولذة النظر إلى وجه الله؛ وذلك لأن المؤمن يرتاح من الدنيا و الإستراحة لأنه يستريح في الجنة و يتمتع بالنظر إلى وجه الله تعالى، يقول تعالى: "فروح وريحان وجنة نعيم"[4]

كما وردت بمعنى الوحي والنبوة؛ لأن الناس يحبون وينتفعون بها من موت الكفر ومن موت الجهل كما تحيا الأبدان والأجسام والأرواح. يقول تعالى: "ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء" [5]

ويقول أيضا: "رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ليرثر يوم التلاق"[6] ويقول أيضا: "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا" [1]

1- سورة الإسراء، الآية 85.

2- سورة يوسف، الآية 87.

3- سورة النساء، الآية 171.

4- سورة الواقعة،الآية 89.

5- سورة النحل، الآية 02.

6- سورة غافر، الآية 15.

كما وردت صفة لعيسى إبن مريم يقول تعالى: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة إنتهوا خيرا لكم أنما الله إله وحدا..." [2] ويقول أيضا: ومريم إبنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين"[3]

ووردت بمعنى مخلوق الحياة المتصل بالبدن: مخلوق عجيب لايمكن رؤيته يجري الحياة في البدن المخلوق بأمر الله، فهو مخلوق آخر بإذن الله الخالق فتبارك الله أحسن الخالقين يقول تعالى: "ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلا ما تشكرون"[4]. كما يقول أيضا: " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين."[5] كما وردت هذه الآية نفسها في الآية 72 من سورة "ص"

IV) الجسد في الصوفية:

إهتم الخطاب الصوفي بكل أبعاد الجسد وأوصافه، ووصل إلى أعماق أغواره، لأن المتصوف يجد مع لغة الجسد لغته الإجتماعية التي يعبر بها قبل أن يجدها في النزوع الروحي الذي كان يعيشه؛ أي أن المتصوف يستعمل لغة الجسد ليعبر بها عن حياته الإجتماعية وما يعيش فيها من حوادث يومية، قبل أن يستعملها في حديثه عن الجانب الروحي؛ أي قبل أن يتحدث عن الحالة التي يصل إليها أثناء تأملاته الصوفية فهو كما يقول "دوسارتو"في مقالته الخطاب الصوفي: "المتصوف يجسد فهو يترجم إيقاع المعنى بفهرس جسدي، إنه لا يلعب فقط بجسده، إنه لعبة بين يدي جسده" [6] وهذا يعني أن المتصوف يخرج ما بداخله من معان بواسطة الجسد الذي يملكه، فهو إما أن يكون الجسد هو الذي يصنع المعاني وإما أن يكون المتصوف هو الذي يخرج المعاني من هذا الجسد؛ أي أن المتصوف إما أن يتحدث عن معاني روحانية بواسطة الجسد، وإما أن يجسد ما هو روحاني.

1- سورة الشورى، الآية 52.

2- سورة النساء، الآية 171.

3- سورة التحريم، الآية 12.

4- سورة السجدة، الآية 09.

5- سورة الحجر، الآية 29.

6- منير حافظ: الوعي الجسدي، ص 52.

وقد إستعمل الصوفية في أدبهم نثرا كان أم شعرا دلالات كثيرة للجسد، ورموز غريبة، تعتمد على الإشارة، يكاد لايفهمها فاهم، ولا يصل إلى حقيقة معانيها عالم، وكل هذا للوصول إلى الحب الإلهي، لأن المتصوف غايته هو حب الله في ذاته وكشف الحجب.[1]

وقد لجأ المتصوفة إلى هذه الألفاظ والإشارات ليعبروا بها عن تلك الحالة الشعورية ودرجة القرب التي وصلوا إليها، لأن اللغة العادية التواصلية عجزت عن إبلاغهم إلى هذا المقصد، وفي هذا الصدد يقول إبن عربي: "إن عدم استطاعة الصوفية التعبير عن مدركاتهم الروحية، مما يلجئهم إلى الرمز" [2] ويبقى الجسد هو اللغة الأكثر استعمالا عند الصوفية، ذلك لأنه يعبر عن جمال الخالق من خلال جمال المخلوق، فإبداع الصنعة وجمالها دليل على عظمة الصانع و جماله، ولأن الجسد هو الذي يعيش تلك الحالة فهو الوحيد القادر على التعبير عما يعيشه بلغته الخاصة.

تلك اللغة التي تأثر في نفس السامع وتسلب عاطفته عندما يبث الجسد صبابته ويطلق شرارة هيمنته في التعبير عما في داخله. [3]

كون الجسد مكون جمالي صوري كامل التخليق البدني [4]، أي أن الجسد هو أصل الجمالي ومكانه، متمثلا في تناسق أعضائه و تكاملها حيث لا يوجد فيه إختلال ولا نقصان، وإنما تماسك واتحاد، هذا الجمال والتناسق هو الذي يؤهل الجسد إلى أن يكون وسيلة للتعبير، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" [5]

لكن تبقى المرأة هي الأوفر حظا من الرجل في هذا التعبير، وهذا راجع إلى أن كل آخر يتضمن ما قبله، فالمرأة خلقت بعد آدم ، وبالتالي فهي تتضمن آدم وكل صور العالم، أي أن المرأة تستطيع أن تعبر عن الرجل، وعن كل ما يحتويه العالم من حولها، لأنها أجمل ما خلق الله.

1- محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة، ص 181.

2- محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، ص185.

3- شعبان أحمد بدير: الرمز الشعري وإغتراب اللغة في المنظور الصوفي، المقال الأول، عن الموقع الإلكتروني www. Maabr.../spotlights .1 .htm.

4- منير حافظ: الوعي الجسدي، ص 93.

5- سورة التين : الآية 4.

ولأن المرأة تتميز بصفة التبدل والتغير، أي أنها تمتلك القدرة على تغيير طبائعها ومزاجها، فهي تتحول من صورة إلى أخرى. فإن هذا التغير والجمال هو الذي يساعد الصوفي على التعبير عن حالته الروحية التي يمر بها عند تأملاته الصوفية، كون هذه الحالة مشابهة للمرأة في جمالها وتغيرها من حالة إلى حالة أخرى [1].

وهنا ينفلت النص من معناه المعجمي المغلق إلى الإنفتاح على الدلالات المتشعبة، التي تغني النص الصوفي بمعاني جديدة نابضة بالحياة، وهذا يعني أن المعاني التي يجسدها الجسد في النص هي مختلفة تمام الإختلاف عن المعاني التي يحملها داخل المعجم، ذلك أن اللغة تعيد له حيويته وتطلق العنان لخيال المبدع في إعطاء صور جديدة لإعفاء ذلك الجسد فيصبح بذلك الجسد عبارة عن قيمة دلالية ولغوية مختلفة عما كانت عليه[2].

وهكذا يخترق الصوفية اللغة العادية التواصلية لأنها لا تستجيب للمقامات والأحوال التي يعيشها، ويخلقون لغة جديدة هي لغة الرمز والإشارة [3] أي اللغة التي يكون فيها للجسد دلالة ورمزا مختلفا عما كان عليه سابقا.

فإذا كان الجسد سابقا مهملا ومكروها، فإن أدونيس اليوم يمجده ويعطيه سيادة إنتاج المعرفة، ويسعى إلى جعل الكتابة تتماهى مع الجسد، أي يعمل على خلق لغة جديدة، تستطيع التعبير عن كل ما يحتويه الجسد من جنون ورغبات وميول، وكل شيء مجهول فيه، بطريقة ممتعة، كثيفة بالمعاني، قريبة من هذا الجسد، مما يشعر به ويحسه.

وتصبح الكتابة هنا في الجسد ومع الجسد وبالجسد [4]، أي أن اللغة في هذه الحالة تصبح تتحدث عن الجسد وهي متماشية مع خصائصه، ومتغيراته، بما يملكه من لغة خاصة به.

وبالتالي تصبح اللغة نداء الجسد [1]، أي تصبح اللغة جزءا من هذا الجسد والصوت المعبر عنه والمنطلق من داخله، وهكذا تتعدد الكتابة بتعدد الأجساد التي تخرج منها هذه

1- شعبان أحمد بدير: الرمز الشعري وإغتراب في المنظور الصوفي.

2- الأخضر السايح: سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط 1، 2011، ص 128.

3- خالد بلقاسم : أدونيس والخطاب الصوفي،دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 2000، ص74.

4- خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي، ص 178.

اللغة[2]، فاللغة التي تخرج من الجسد المتصوف ليست هي اللغة التي تخرج من جسد إنسان غير متصوف، واللغة التي تخرج من جسد المرأة ليست اللغة التي تخرج من جسد الرجل، وهكذا تتغير لغة الجسد من جسد إلى آخر بتغير الحالة التي يعيشها هذا الجسد.

I) الروح والجسد عند أبي حامد الغزالي:

1- الروح (النفس):

يقول بعض الفلاسفة عن النفس بأنها موجودة حتى لدى السماء "إن السماء حيوان، وإن لها نفسا، نسبتها إلى بدن السماء"[3]، أي أنهم يعتقدون بالسماء كائنا حيا يعيش كما تعيش سائر الحيوانات في الأرض، وأن لها نفسا كما تلك الحيوانات. ثم إنهم بمجرد ما قالوا عنها ــ السماء ــ أنها حيوان سيتبادر إلى الذهن أن الحياة تدب في أوصالها. وهذه الحياة لا تكون دون روح أونفس، والنفس في قولهم هي التي تحرك السماء.

كما يعتقدون أن السماء بما فيها تتحرك، وهذه الحركة تكون من أجل عبادة الله،وفي هذا الصدد يقولون بقدرة الله على كل شيء، وبهذا يقولون بقدرته على أن يجعل للسماء نفس كما يجعل لها جسدا تحركه، وبهذا يدللون على ما يقولون بقدرته به، من وجود روح السماء، وكون هذه الأخيرة جسدا. والسؤال الذي نطرحه خلال هذه السطور ماذا لو كان هذا صحيحا فعلا، وأن للسماء جسد وروح؟ ! وهل نستطيع القول بأن السماء تتألم كما يتألم الإنسان، وأنها تبكي كما يبكي وتفرح كما يفرح؟

من جهة إعتقادية ربما هذا صحيح، فحين ينزل المطر نقول أن السماء تبكي، وحين يكون نزوله متوافقا مع شخص ما. هناك أيضا من نجدهم يقولون أن السماء تبكي لأجله أو لرحيله عن هذه الحياة، ومن هنا يمكننا أن نوافقهم قولهم هذا لأن للسماء جسد وروح، وبهذا نجعلها تحس كما يحس الإنسان وتشعر كما هو وإن كان ما نقوله هذا منافيا لما يقوله البعض الآخر، كما نجده أيضا متنافيا مع العلم وما نعيشه من تطورات، ومن يسمع هذا يقول أننا مازلنا نعيش في زمن الخرافات والخزعبلات. ولأن القول به وتأييد الآخرين فيه نوع من الضعف لأنه غير مؤيد بالدليل القاطع الذي يؤكد هذا الرأي. ولو

1- الأخضر السايح: سرد الجسد وغواية اللغة، ص 90.

2- المرجع نفسه، ص 95.

3- أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، قدم له وعلق حواشيه: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا: بيروت، ط1، 2001، ص157.

كان هذا التأكيد لا يحتاج لدليل، فلماذا وجد الدليل إذا؟ !! ألم يوجد ليساعد ويوضح؟ وغيابه هنا، وفي هذه المسألة بالذات يعد معضلة حقيقية، ويكون قولنا دونه مشكوك فيه وأساسه لا فائدة منه.

أضف لهذا قولهم أن "السماء متحركة"[1] وذلك لكونها لها روح وهذا أيضا فيه خطأ، فلو كانت كذلك لكان كل جسم بإمكانه الحركة ولكان الحجر أيضا متحركا، وبصفة عامة جماد يتحرك، وبهذا تكون الحركة هنا صفة لكل شيء، وهذه الصفة يمكن أن تكون طبيعية أو إرادية، والطبيعية نقصد بها مثلا سقوط الحجر من الأعلى إلى الأسفل وهي حركة الجاذبية الأرضية، والثانية أوالإرادية نقصد بها الشعور بذلك السقوط والحركة، ففي الأولى لا يمكن للحجرأن يحس بسقوطه كونه ناتج عن الجاذبية، وكل جسم جامد ــ هنا جامد نقصد بها دون روح ــ معرض لهذا النوع من السقوط في حين الثانية يكون لهذا الجماد شعور وهنا يكون فيه روح تحس وتشعر وتتحرك كما تكون هي المحرك لهذا الجسم الجامد.

والذي نقصده بالحركة من كل هذا "هرب من مكان، وطلب مكان آخر" [2]؛ أي الإنتقال من مكان إلى آخر فالمكان الأول إذا لم يكن ملائما للجسم المتنقل وغابت عنه الشروط والإمكانيات والمتطلبات دعاه هذا الأمر لتغيير مكانه ذاك، فهو يتحرك وفق ما يقتضيه الأمر وتتطلبه الضرورة والحتمية، فمثلا لدينا إنتقال الناس من الريف إلى المدينة، أوما نسميه بالنزوح ذلك نراه راجع لما يتطلبه العصر وما يقتضيه الزمن، ونرى من أسبابه غياب المدارس أو بعدها عن مكان الإقامة وغيرها من الأسباب، هذا هنا مدعاة للحركة والإنتقال، والإنسان بطبيعة الحال فيه روح وهو جسد، وكذا الحيوان فيه روح ــ أو نقول نامية حيوانية ذلك لأن قتل حيوان مثلا لا يعد جريمة كما هو الحال بالنسبة للإنسان الذي فيه روح ــ نجده ينتقل من مكان لآخر يتوافر فيه الماء، والغذاء.

2- الجسد:

ينكر بعض الفلاسفة حقيقة البعث بعد الموت، كما ينكرون وجود الحساب ويوم العقاب، فهم لايعتدون بفكرة أن تعود الروح إلى الجسد بعد فنائه وموته، كما ينكرون فكرة

1-المرجع السابق : ص157.

2- المرجع السابق : ص158.

الحشر ولكن الغزالي هذه ــ ينكرها عليه إبن رشد كما ينكر عليه قوله بأن بعضا من الفلاسفة ينكرونها ــ[1]، وهذا يخالف الإعتقاد الإسلامي ذلك لأن الروح فعلا تعود للجسد ويبعث هذا الجسد من جديد ويبعث الإنسان هكذا كما ولدته أمه، ونجد في التنزيل الحكيم قوله تعالى في سورة مريم: "وسلام عليه يوم يبعث حيا" [2] وهنا فيه دليل وتأكيد على عودة الروح للجسد بعد الموت كما فيها تأكيد على البعث وبعد البعث يكون الحساب.

لكن الإنشغال بالبدن ينسي الإنسان نفسه كما ينسيه ألمه، فمثلا نرى أن التفكير ينسي الفرد همومه وجراحه وكذلك العمل يجعل النفس تنسى حتى ما كانت ترغب فيه، فحين تقوم بجهد شاق مثلا فجأة تجد نفسك ترغب في شرب برميل من الماء لكن إنشغالك بشيء مغاير لما كنت فيه يجعلك تنسى عطشك وحتى تعبك، أيضا نجد"المريض، الذي في فمه مرارة يستبشع الشيء الطيب الحلو، ويستهجن الغذاء، الذي هو أتم أسباب اللذة في حقه، فلا يتلذذ به لما عرض له من المرض" [3]؛ أي أننا نجد جسد المريض هنا يستنفر كل شيء ويستبشعه مهما كان مذاقه حلوا أوطيبا ويكون عنده هو والمر أو الكريه الطعم سيان، وحتى الرائحة المنعشة مع الكريهة شيء واحد لا يتلذذها ولا يحبها، وهذا شيء لا يمكن لأحد أن يفهمه إلا إذا كان مجربا له ومارا عليه من قبل، فنحن لا نستطيع هنا أن نفهم طفلا صغيرا مثلا شيئا لم يقابله من قبل، وحتى الكبير أيضا فإذا كان لم يذق الحلوى من قبل فكيف سيدرك طعمها ومذاقها وهكذا كل شيء على نفس المنوال، والطفل الصغير الذي لم يدرس بعد كيف نفهمه لذة الدراسة ومتعتها.

٧) علاقة الجسد بالنفس عند الغزالي:

نجد في القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن الجسد، وبصفات مختلفة فمرة يرد الجسد، وأخرى البدن، وثالثة الجسم بإعتباره موضوعا للتأمل فنجده تعالى يقول: "وإتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم

1- أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص 157.

وهذه المقولة شاعت قبل الفلاسفة، الذين أخذت عنهم هذه الآراء الفلسفية، وأول من قال بها هم أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام.

2- سورة مريم، الآية 15.

3- أبي حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة، ص 211.

سبيلا إتخذوه وكانوا ظالمين"[1]، ويقول أيضا: "وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وكانوا خالدين"[2]، وبالنسبة للآيات التي ورد فيها ذكر البدن فنجد الله تعالى يقول: "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية"[3]، أما في ذكر الجسم فنجد تعالى يقول: "...قال إن الله إصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم" [4]، كما ورد في آية أخرى "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم..." [5]، وهي آيات تدل على قدرة الله تعالى في الخلق والوجود، فنجد قدرته تتجلى في خلق آدم "من تراب ثم قال له كن فيكون"[6]؛ وخلق الإنسان هنا كان بداية من طين وكانت سلالته من ثنائية (جسد + روح)، ونجد أن الجسد متعلق بالأرض؛ نظرا لكونه من طين، والروح نراها متعلقة بأصلها السماوي الرباني، وهنا نرى علاقة وطيدة بين هذين العالمين، العالم الأرضي والعالم السماوي، وتتجلى العلاقة في الإنسان الذي يربط ويوحد بينها في خلقه، ونجد التحول من الثبات والجمود إلى الحركة والقدرة على الإنتقال، فلو لم ينفخ الله من روحه في الجسد الطيني لما كان لهذا الجسد أن يتحرك، ويغير مكانه بحسب حاجاته، وهنا حاول المسلمون الفصل بين هذين الجزأين في الإنسان العالم المادي (الجسد) والعالم المعنوي (الروح)، أو العالم البشري (الناسوت) والعالم الإلهي (الروح أو الاهوت).

وقد عالج المتصوفة هذا التعريف، ونجد "الغزالي" في كتابه "تهافت الفلاسفة" يعلن عن مقارنة بين مظاهر هذين العالمين خاصة فيما ورد في قصة " إبن طفيل ــ 581 ه ــ "حي بن يقظان"[7]؛ أي أن هذه المفارقة تختلف نظرا لإختلاف الوضع الذي يخاطب فيه الفرد جمهوره؛ فهو هنا يفرق بين العالم الطبيعي الذي يعيش فيه الفرد مع بني جنسه من الناس والعالم الذي عاش فيه حي بن يقظان، عالم الحيوان فرغم كونه من عالم البشر إلا أنه تعلم لغة غير اللغة التي يستعملها بنوا جنسه من البشر.

1- سورة الأعراف، الآية 148.

2- سورة الأنبياء، الآية 08.

3- سورة يونس، الآية 92.

4- سورة البقرة، الآية 247.

5- سورة المنافقون، الآية 04.

6- البوعيادي محمد: إستلابات الجسد، 20 مارس 2012، من موقع الإلكتوني www.Qadita.net.htm.

7- ينظر: المرجع نفسه، نقلا عن Nicole Sindzincre. Dans ency clopeché universalis ,2011.

فهو يتصل في موضع وينفصل في آخر، ويرفض أشياء ثم يقبلها، فمن بين ما رفضه في كتابه "تهافت الفلاسفة" في إبطال إنكارهم لبعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية، ووجود الجنة والحور العين، وسائر ما وعد به الناس. وقولهم: إن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق، لتفهيم ثواب وعقاب روحانين، هما أعلى رتبة من الجسمانيين ويأتي هذا كله عنوان للمسألة العشرين في كتابه المذكور آنفا.

VI) الأدب عند الصوفية:

معروف عن النص الأدبي أنه يجمع بين جميع النصوص وفي شتى المجالات حتى العلمية منها، فنقول بأن هناك نصوصا علمية متأدبة، أي أنه نص يحكي عن ظاهرة علمية بمصطلحات علمية ولكن بأسلوب أدبي كما نجد نصوصا أخرى دينية، ومنها نذكر النصوص الصوفية وهي نصوص ذات طابع ديني ونعرفها من خلال مصطلحاتها التي يستعملها أصحابها وكذا من خلال الأهداف التي يودون الوصول إليها عن طريق تطبيق أفكارهم بطريق النصوص التي يكتبونها.

ودراسة النص الصوفي تعتبر مهمة صعبة كونها تطرح جوانب عديدة، ونظرا لتعدد الجوانب يصعب الفهم والإدراك وقد صح ما يقال كان: "الصوفية أهل الإشارة وغيرهم أهل العبارة"[1] أي أنهم في أقوالهم ومن خلال نصوصهم فهم يلمحون ويستخدمون الرموز والأقنعة.

وهنا يقول فيهم أحد شعراء العرفان *.

إذا أهل العبارة ساءلونا أجبناهم بإعلام الإشارة

نشير بها فنجعلها غموضا تقصر عنها ترجمة العبارة

ونجد أن من يخالفونهم يقولون بصريح العبارة، ليس فيها لف ولا دوران كما يقال، فقولهم واضح جلي لا يحتاج لدراسة ولا لتحليل ولا إبانة عكس الحال عند الصوفية، الذين نحتاج معهم إلى تحليل وربما هذا التحليل يحتاج هو الآخر لتحليل حتى يتوضح أكثر، فالمتصوفة يهدفون إلى التعرف والإتحاد مع الذات الإلهية ــ تعالى الله عن ذلك ــ

1- محمد زايد: النص الصوفي بين النفعي والإبداع الفني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 2011، ص12.

والوصول إلى كنهها وماهيتها، ويعرف التصوف بأنه "مجاهدة وسلوك يفضيان إلى كشف ومشاهدة يحصل فيها العلم بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملكه" [1]

ثم إن الصوفية علم متصل بثقافات كثيرة ومتعددة، مثل الفقه والسنة والدين، وحتى الفلسفة، لهذا تصعب دراسة نصوص أهل التصوف، كما أن أدبهم هذا يوظف في طياته العديد من التقنيات والآليات التي يتبعها الأدباء العاديون، أومن لا ينتمون إليهم "من هنا جاء البيان الصوفي للمعرفة والذوق متسما بدرجة من العدول عن أشكال البيان التي رسمتها الشعرية العربية التقليدية، وتمثل هذا العدول على مستوى جميع الأنواع: الشعر والنثر الفني والحكي، بلغة مخصوصة تتسم بالشعرية: من تمثيل ورمزية ومجاز" [2]؛ أي أنهم أرادوا الخروج عن المألوف عند الأدباء، وبخاصة القوانين القديمة. وعدولهم هذا مس جميع المستويات والأنواع.

ومن هنا جاءت مشكلة المحلل وصعوبة التحليل، فهذا العدول الجديد والذي جاء به المتصوفة، لم يألفه المحلل الذي يعمل بما هو قديم من القوانين، حتى ولو كانت المصطلحات الجديدة هي نفسها التي استعملت قديما، كما أن "التصوف لا يخضع للمعيارية الجامدة، هو معرفة منفتحة تملك من الدينامية الداخلية والقدرة على التفلت والتشكل في الأشكال ما يمكنها من ضمان البقاء" [3]؛ أي أنها لا تملك قواعد تتقيد بها، فهي ذات قواعد مرنة، كما أنها معرفة مفتوحة ذات حركية داخلية؛ أي داخل الكلام وفي معناه، وهي منفلتة تتشكل مع كل شكل، وذلك لأجل الإستمرارية والبقاء.

ولما مر الزمن على تشكل المذهب الصوفي، والذي كان يعمل وفق التعاليم التي جاء بها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعمل بها صحابته من بعده، "أخذت الفكرة الصوفية تميل نحو الغموض والتعقيد، وتستلهم أفكار ومبادئ، من مصادر متعددة" [4]؛ أي

---

* العرفان: هو علم باطني، أي ليس من علوم الظاهرة المعتمدة على الدراسات المادية، بل هو علم باطني يستند على المعنويات في الوصول إلى هدفه، حيث يكون إعتمادالوصول فيه على الروح، فيكون هو طريق روحي للإنسان... وبهذا يختلف عن الفلسفة بإعتبارها علم عقلي، ويختلف عن الروحان بإعتباره علم باطني، ولكن الروحان هو الإتصال بالحق عن طريق المخلوقات الأخرى فيكون العرفان هو الإتصال بالحق تعالى عن طريق الروح.

1- المرجع السابق، ص 14.

2- محمد زايد: أدبية النص الصوفي، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 15.

4- محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية ، دار الكتاب الجديد المنجدة، الصنائع، ط 1،2010، ص 55.

مال هذا المذهب الصوفي للتعقيد، وربما كان سبب هذا التعقيد، هو الإمتزاج مع الثقافات الأخرى والتي ذكرنها سابقا.

والمقصود في القول؛ انه في عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان هذا المذهب سهلا، ومصطلحاته واضحة ومفهومة؛ أي أن نشأته كانت بسيطة بهدف تنقية الروح وقضاء على الأفكار الشيطانية التي تجول داخل النفس، وبانقضاء عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدأت تظهر فيه ملامح الغموض والتعقيد.

ثم إن الشاعر حين يستخدم اللغة، تكون لغته ذات استعمال خاص"وتتميز اللغة الشعرية ــ دائما ــ بالاستعمال الخاص للغة، إذ ينحرف المبدع بلغته قليلا أوكثيرا عن الاستعمال الوظيفي "المعياري" للغة، ويخرج بها عن دوائر "المواضعة"؛ بمعالجتها بطريقته الفنية الخاصة"[1]؛ أي أنه يخرج عن المألوف، وعن ما عرفه العرب في النثر والشعر قديما، سواء كان هذا الخروج بشكل قليل أوكثير، ويدخل هذا الاستعمال كامل أنواع البيان من استعارات تصريحية أو مكنية، وتشبيه، وكناية، ومجاز،وبهذا يمتاز الشاعر عن غيره من المبدعين ويتميز الشعر عن غيره من الأنواع الأدبية.

وعن طريق هذا الإستعمال الخاص للغة يعبر المبدع عن ما يخطر على باله، وما يجول في نفسه بقالب فني إبداعي، كما يساعده هذا الإستعمال على تقريب الصورة أكثر للمتلقي، ويجعلها قريبة للواقع ومفهومة واضحة في الأذهان.

ومن خلال هذه الصورة داخل النص، بالإضافة إلى أسلوب الكاتب نتوصل إلى معرفة قدرة الكاتب وإمكانياته في الإبداع. فالنص الأدبي يعكس فكر صاحبه، وأيضا يقال أن الأسلوب هو الرَّجل، والمبدع أيضا بأدبه يكسب الألفاظ معاني جديدة غير التي عرفناها من قبل.

غير أن المبدع في القصيدة الصوفية، لا يعتمد على المتلقي وخياله لأنه لا يضعه في حسابه أصلا[2]، أي أنه لا يهدف إلى التواصل مع المتلقي من خلال قصيدته، ولا يهمه كيف تحلل المعاني والألفاظ الواردة في تلك القصيدة. أي هو لا يهتم بالمتلقي بشكل خاص ومباشر، وآخر ما يهمه هو التواصل والتوصيل، والمتصوف يعتبر هذين الأخيرين ــ

1- محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، ص 79.

2- محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، ص 81.

التواصل والتوصيل ــ شيئا ثانويا مهملا لا أهمية له، والهدف الأهم عنده هو التعبير عن شيء ما في نفسه كالمعاناة التي تكون على خلاف معاناة الآخرين ومغايرة لها خاصة وأنه يهدف إلى معرفة الذات الإلهية والإتحاد معها.

وإن كانت اللغة التي يستعملها الصوفي عاجزة عن التعبير عن معاناتهم وما يقاسونه تصبح و" كأنها طلاسم وأحاج، أو لعلها لا تحمل شيئا منى المعنى والمدلول" [1]، وبإعتبارها غير مفهومة ومبهمة ـــ ربما لأنها تعبر عن عالمهم الذي يعيشون فيه والذي يتحدون فيه مع الذات الإلهية على حد أقوالهم ــ لجأ البعض إلى تأويلها وموازنتها مع الواقع، وما يتطلبه العصر، ربما لكون البعض لا يستطعون فهمها، أولا يقوون على تأويلها بالوجه الصحيح، ولو فعلوا وأوّلوها بشكل خاطئ ربما سيدخلون فيما يسمى بالشرك بالله، وأيضا ربما يتعرضون لعقاب من طرف المجتمع، وعقاب من الله في آخرتهم.

وقد سعى الصوفيون إلى تخليص اللغة من "مضامينها التواضعية وأساليبها المتوارثة، وتخلق لغة جديدة تحمل جديدا مع كل تجربة صوفية تقريبا" [2] بمعنى أنهم أرادوا ترك اللغة القديمة وراءهم، وبدء بداية جديدة في كل تجربة، تلخص مذهبهم وأفكارهم وما يهدفون إليه، وهنا نجد أن التجربة الصوفية ــ في جوهرها ــ محاولة وجدانية ذوقية للفكاك من قيود الواقع ونواميس المألوف [3]، أي الهروب من كل ما هو قديم ومألوف والصعود نحو الهدف المنشود حيث لا زمان ولا مكان يقيدهم.

وبالحديث عن القيود وهروبهم منها، نجدهم يستعينون كما سبق وأن ذكرنا بالرموز والإشارات وذلك حتى في تفسيراتهم القرآنية أو في تعابيرهم عن مواجعهم ومكنوناتها النفسية والداخلية، وكذلك تعبيرهم عن إتحادهم مع الذات الإلهية.

وفي هذه التعابير يوظفون تقنيات في تشكيل نصوصهم ومن هذه التقنيات نذكر المطابقة والمقابلة، والخيال والرّمز والشطح...

1- المرجع نفسه: ص 82.

2- المرجع نفسه: ص 82.

3- المرجع نفسه: ص 84.

1 – المطابقة:

من مادة " طبق: الطَّبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق ، وقد أطبقه وطبَّقه فانطبق، وتطبَّق: غطاه وجعله مطبَّقا، ومنه قولهم: لو تطبَّقت السماء على الأرض ما فعلت كذا.

وفي الحديث: حجابه النَور لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، الطَّبق: كل غطاء لازم على الشَّيء، وطبق كل شيء، ماساواه، والجمع أطباق، وقوله:

وليلة ذات جهام أطباق.

وقد طابقه مطابقة وطباقا، وتطابق الشيئان: تساويا، والمطابقة الموافقة، والتطابق: الإتفاق، وطابقت بين الشيئين إذ جعلتهما حذو واحد وألزقتهما، وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطِباقُه وطابقُه وطبقه وطبيُقهُ ومطبقه وقالبه وقالِبه بمعنى واحد. ومنه قولهم: وافق شن طبقة. وطابق بين قميصين: لبس أحدهما على الآخر" [1]

ونفهم بأن الطباق بهذا المعنى هو الغطاء او الحاجب أو السَّاتر. ولكن هذا الغطاء أو السِّتر يترك بعض العلامات الظاهرة ولو بشكل غير واضح وهو غطاء ستر شفاف كما يعني المساواة والتماثل والإتفاق، فنحن مثلا نقول: صورة طبق الأصل، أي تشابهما في كل شيء ولا اختلاف بينهما وكأنهما توأمان حقيقيان أو شيء واحد.

ومما لاشك فيه أن المذهب الصوفي قد وظف هذا النوع في طيات نصوصه الشعرية والنثرية، خاصة وأن تعابيرهم هذه امتازت بالغموض وعدم الوضوح، وهذا النوع يساعدهم بشكل كبير في وصف الحالات التي يودون وصفها خاصة وأنها تتناقض مع عالمنا وتخص عالمهم المنفردين فيه لوحدهم.

والطباق هذا قد شكل جزءا مهما في الصور الصوفية وكان أداة فعالة لها دورها في التصوير، " والشيخ ابن عربي يعتمد الطباق وسيلة بارزة في الإيحاء بما ذهب إليه من المعاني المضمرة التي أشار إليها" [2]، وبإعتباره علما من أعلام المتصوفة والذين هدفهم التناقض والإختلاف والإيحاء ونجده خاصة يتجلى في قصائده.

1– ابن منظور: لسان العرب، ج8، دار صبح، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 113.

2– محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، ص 111.

ثم إن الطباق يعطي النص شعريا كان أو نثريا، جرسا موسيقيا يدفع على قراءته ومن النصوص نجدها تجدب القاريء فيقدم على حفظها والتغني بها، لا لشيء فقط لوجود الطباق والجرس فيها.

ومما نجده في قصائدهم: قصيدة لابن عربي يقول فيها:

أيها المنُكِحُ الثريا سُهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية، إذا ما استهُلت وسهيل إذا استهلَّ يماني [1]

والمطابقة هنا كانت أن جمعنا بكلمة واحدة أصلها من الفعل الثلاثي " سهل" بين البيتين، في الصدر من البيت الأوّل مع كامل البيت الثاني.

ففي البيت الأوّل ورد اسم علم " سهيلا" وفي الصدر من البيت الثاني بمعنى بدأت: استهلَّت، بدأ مع استهلَّ.

2- المقابلة:

جاء في لسان العرب:

" والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالك، وقبالتك أي إتجاهك، ومنه الكلمة: قبال كلام! [....] قبالا لكلمتك كقولك حيال كلمتك"[2].

ونفهم من هذا أن المقابلة تمثل التضاد والتعاكس بين شيئين وهي مناظرة بينهما.

وقد وردت هذه المقابلة داخل نصوص الصوفيين وإستعمالاتهم فنجد قولهم:

وردن دوارعا وخرجن شعثا كأمثال الرَّصائع قد بلينا. [3]

وفي هذا البيت نجد المقابلة بين:

(وردن≠ خرجن) و(دوارعا ≠ شعثا) و(الرَّصائع ≠ بلينا)

والمقابلة تقنية تيسر الحفظ وتسهله وقد إعتمدتها الصوفية، وربَّما أفادتهم أكثر في بيان الفرق بين حياتهم وحياة الناس العاديين أي بين عالمهم وعالمنا نحن.

1- محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، ص 116، نقلا عن ابن العربي: ترجمان الأشواق، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2005، ص13،23.

2- ابن منظور لسان العرب، مادة "قبل"

3- الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلقات، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، دت، ص 210.

3- الخيال:

اعتبر الخيال في التصور الصوفي الأساس الذي اعتمدوا عليه للخروج من العالم العادي وولوج عالمهم الديني والزَّاهد في الحياة، وهو عنصر فعال في بناء النَّص الصوفي، فهم بالنسبة لنا يصورون معالم خيالية لم نألفها وهذا هو هدفهم؛ توصيل خيالاتهم وما يحسونه في عالمهم ووصفها بشكل يليق بها ويجعلها منفردة عن عالمنا نحن. وهم يستندون " إلى العقل بإعتباره مصدر الحقيقة ولدى الصوفية الإستناد إلى الخيال بإعتباره منبع التصور قبل العقل"[1].

أي أنهم يعتمدون فقط على العقل لأنه يقول الحقيقة والخيال قبله كونه الأساس الذي يخرج منه التصور والخيال.

4- الرَّمز:

يعتبر الرمز من بين الأدوات التي يستخدمها الأديب في تعابيره وفي نصوصه، ومن خلاله يستطيع أن يعبر عن شيء ما بشكل غير مباشر، وربَّما بالرَّمز يكون أقدر على التعبير منه بصفة مباشرة، وقد تنوعت هذه الرموز وكانت على عدة أنواع فكانت رموز أسطورية، وأخرى نباتية... وغيرها من الأنواع.

قد كان للرَّمز حضور مكثف عند أهل المذهب الصوفي، فقد إستعانوا به حتى تكون "معاني الفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها"[2]؛ أي أن استخدامهم لهذا الرَّمز كان من أجل التستر على أشياء وحقائق تخصهم وحدهم، لأنها وكما يقولون هم أنها معاني جاءت من عند الله وخصهم بها لوحدهم، ولم تكن لغيرهم، وهي ليست مجَّرد أوهام أو مجَّرد أفكار من نسج الخيال. ولانَّهم كانوا يعتبرونها أسرارا لايحق لأي كان أن يطلع عليها إلاّ إذا كان منتميا إلى المذهب الصوفي؛ أما غير ذلك فليس من حقه حتى أن يفكر مجرّد التفكير في الإطلاع عليها وكشفها أو معرفتها ولو كان ذلك مجرَّد فضول لا غير.

1- محمد زايد: أدبية النص الصوفي الإبلاغ النفعي والإبداع الفني، ص 30.

2- محمد زايد: أدبية النص الصوفي، ص 31.

وقد كانت هذه الرموز متنوعة لدى أهل التصوف، وذلك لأجل التعبير والبوح عن مكنوناتهم، وما يجول في النفس والخاطر. وكذلك التعبير عن عالمهم وتصويره كأحسن ما يكون بالنسبة للقاريء والمتلقي ومن هذه الرموز نذكر: " رمز الأنثى ومن نماذجه الإبداعية الأكثر شهرة: ديوان ترجمان الأشواق لابن العربي؛ رمز الخمر: كما وظفه سلطان العاشقين: عمر ابن الفارض المصري؛ رمز الطبيعة؛ رمز الموت؛ رمز الشخصيات التراثية كالأنبياء والصحابة؛ ومنها الحلاج مثلا؛ رمز الحج؛ رمزية الحروف والأعداد..."[1]

1- المرجع نفسه، ص 31.

الفصل الثاني:

لغة الجسد في مجموعة

"أدونيس"

تاريخ يتمزق في جسد امرأة

المبحث الأول:

لغة الجسد

-لغة الجسد:

لغة الجسد هي تلك الحركات التي يقوم بها الأفراد مستخدمين أيديهم، وملامح الوجه، وأقدامهم، ونبرات صوتهم، وهز أكتافهم، ورؤوسهم من أجل أن يفهم المخاطب المعلومة بشكل أفضل، فهي تساعد على الشرح مثلا والتوضيح أيضا، وهناك أشخاص حذرون على أن لا يقروا ولا يفصحوا عما بداخلهم وهم الذين يستطيعون التحكم في ملامح وجوههم وتثبيتها بشكل جيد حتى لا يظهروا ما يخفون بداخلهم، ولكن يمكن فهم ذلك عن طريق وسائل أخرى.

ثم إن هذه اللغة تعتبر الثانية بعد لغة الكلام، وهي اللغة الشائعة والمتعارف عليها، فلم تكن قديما لغة غيرها، وفيما بعد إستطاع بعض العلماء تحليل حركات الجسد وعدها لغة ثانية، وهناك العديد من الأشخاص الذين يميلون إلى تصديق لغة الجسد أكثر من لغة الكلام كونها إشارات عفوية وصريحة ولاتحتوي التصنع والكذب، وهي في نفس الوقت لغة فاضحة لصاحبها.

ونجد هذه اللغة عند المعلم، ليوصل المعلومة إلى تلاميذه بشكل سريع وسهل وأيضا يستطعون الحفظ وتثبت المعلومة بالإشارة بشكل أسرع من الحفظ المكتوب كما يستخدمها الرئيس للمرؤوسين، كما نجدها عند الشخص العادي حاضرة، كذلك مستخدمة بين الأم وطفلها الصغير، وأيضا مع الأشخاص من ذوي الإحتياجات الخاصة وضعاف السمع.

وتعتبر المرأة هي الأكثر قدرة على قراءة وفهم لغة الجسد، وهي عندها شيء فطري، كما أنها قادرة على فك شفراتها ورموزها مثل مقدرتها على ملاحظة التفاصيل الدقيقة، ويعتبر الرجال أقل كفاءة في تحليل هذه اللغة، ولهذا نجد القليل منهم من لديهم المقدرة على دراسة وتحليل هذه اللغة، ولهذا نجد القليل منهم فقط بارعين في الكذب على زوجاتهم أما غيرهم فسرعان ما ينكشف كذبهم ويقعون في مشاكل تمس حتى العائلة وتهدد إستمرارها، في حين تستطيع الزوجة الكذب على زوجها، ولا يستطيع هو كشف كذبها.

وهذه اللغة لها وسائلها نحو العين، الحاجبين، الأذنان، الجبين، الكتفين، الأصابع، الأنف، اليدين...

1)لغة الأعضاء:

الجسد كما أوردنا في تعريفه سابقا أنه جسم بلا روح، أي أن الجسم ناتج من معادلة جمع (جسد + روح)، وبإعتباره جسدا فهو مكون من مجموعة من الأعضاء، وعددها كبير لا يعد ولا يحصى، ومنها ما هو داخلي غير مرئي للعيان و ما هو خارجي ظاهر، وهنا سنركز نحن على دراسة بعض هذه الأعضاء ونمحور دراستنا حولها كونها واردة في نموذج دراستنا.

وكما يقال في العامية أن الأعضاء لها لغة خاصة تتواصل بها، فنقول لغة العيون، ولغة الشفاه، وملامح الوجه، وكذا الحال بالنسبة للأعضاء الأخرى كاليدين والقدمين...

أ/ اليدين:

ونجد شاعرنا (أدونيس) يقول: "للسماء يدان، ولكنها فوقي الآن دون يدين" 1،وهنا نطرح سؤالا حيال هدا القول، ماذا يقصد (أودنيس) بالسماء؟ هل يقصد بها المرأة؟ ففي القديم كانوا يمجدون المرأة ويعطونها مكانة مهمة تصل إلى درجة التقديس، وربما هنا أصبحت هي السماء لشدة التقديس، وإذا صح القول فهي إذا لديها يدان بطبيعة الأمر حالها كحال جميع المخلوقات البشرية والإنسانية، وحتى المخلوقات الحيوانية ذات الأربعة قوائم، فنحن نشبهها بالإنسان؛ فالقوائم الأمامية نعتبرها بمثابة اليدين، أي أنها مثل الطفل الصغير الذي يمشي على يديه ورجليه وبعدها يصير يمشي على رجليه، وحتى الطيور فجناحاها في مقابل اليدين لدى الإنسان وهنا نصل إلى أهمية اليدين بالنسبة للإنسان، ومدى فاعليتهما بالنسبة للجسد ككل.

فبدون اليدين لن يستطيع الإنسان آداء بعض حاجياته، وسيكون ناقصا في رأي الآخرين وعيونهم، وربما ينعتونه بهده الصفة ــ صفة النقص ــ وتصبح لصيقة به لمدى الحياة، وهذا سيؤثر فيه بطبيعة الحال، فبالإضافة إلى هذه الصفة البشعة هو لن يستطيع الكتابة مثلا، كما لا يستطيع فعل أشياء أخرى لدرجة أنه لن يستطيع حمل ملعقة ليأكل بها، ولن يغذي نفسه بنفسه، وماهذا العذاب؟ إنه عذاب حقيقي لا يعرفه إلا من شرب من كأسه المرة، سيصبح هذا الشخص عالة على غيره، ومصدر إزعاج لهم، فمهما ضحكوا

1ــ أودنيس : تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، قصيدة متعددة الأصوات، دار الساقي، لبنان، ط 2، 2008، ص08.

في وجهه ومهما طال الزمن وكبر الإنسان الراعي له سيمل منه في يوم ما حتى لو كانت أمه، وإن لم تظهر ذلك، لكنها في داخلها تتمنى لو يصبح ولدها مثل غيره بيدين وتتخلص هي من هذا العذاب اليومي الذي تعانيه، وإن كان الشخص الذي يرعاه غير أمه فحتما سيأتي يوم ما ويكف عن رعايته ومساعدته، فحقا أنه لا يوجد شيء يضاهي اليدين وعدم حاجة الشخص لشفقة وعطف غيره.

واليد تمثل بالنسبة للشخص العاجز عن الكلام، لغته التي يتحدث بها من خلال الإشارات التي يفعلها بها، فهي تعوضه عن الكلام وعن الصوت الذي لم يخرج من بين شفتيه وهو بإشاراته تلك يخبرنا عما يريده وما يريد أن يفعله، وصحيح أنه ناقص في عيون غيره ممن يتكلمون إلا أن يديه عوضتاه عن كل ما حرم منه ــ الكلام ــ وما كان سيحرم منه ــ فهم الآخرين له ــ.

كما أن اليد يمكن أن تصنع أشياء مبهرة مثل الرسم سواء كان ذلك للحياة أوللجماد وهو يقول: ... كما رسمته يد الشمس.[1] وهو هنا يشبه لنا الشمس بالإنسان لها يدين وهي قادرة على الرسم والإبداع مثلما يفعل الإنسان وهو هنا يقصد برسمات الشمس، ربما الضلال التي تنشأ في الجهة المقابلة للشمس، فهي بمثابة رسومات لها، وهي رسومات دون ألوان لكن فيها من الإبداع ما لا يستطيع العقل أن ينكره ولا الفرد على تجاهله أونقده نقدا هداما.

واليد عضو متحرك يمكن بسطها ويمكن قبضها، فالبسط ربما يكون للتحية، وربما للمنح، وربما للضرب... والقبض قد يكون لأخذ مثلا، أوالإمساك بشيء ما مؤقتا ونجد قول (أدونيس):

المساء يمد يديه إلى ذروات النخيل

يجر خطاه على الشرفات[2]

في هذه الصورة شبه أدونيس المساء بشخص له يدين، وهو يمدهما إلى ذروات النخيل في وقت المغيب، أي أن الشمس بدأت تسحب نفسها لتذهب إلى الضفة الأخرى من

1ــ المرجع نفسه، ص23.

2ــ المرجع نفسه، ص32.

العالم ولم يبق منها في عالمنا غير يديها اللتان بقيتا في مكان عال وبعيد عن الأرض وهو آخر مكان لهما في الأرض قبل المغيب.

كما أن اليد قد تكون مؤذية لصاحبها، فقد تجلب له المتاعب والمصائب مثلا حين يقتل بها نفسا، فقد جنى على نفسه أولا قبل أن يجني على غيره فمن مات قد إرتاح ولن يواجه المشاكل بعد ذلك، ومن قتل سوف يواجه مصاعب ومشاكل ربما لا تحل إلا إذا معنى مضى عليها زمن طويل، فربما القاتل سوف يسجن ويعاقب على ما اقترفته يداه، ورغم مرور الزمن وطول الدهر وانقضاء الحكم إلا أنه سيبقى قاتلا في عين غيره ومن يعرفه، وإن كان رجلا صالحا سيعاني من عذاب الضمير طوال حياته ونجد القول:

ويد العالم الخشبية لم تنقلب

في يدي إلى حية [1]

أي أن العالم ذو يد خشبية وكونه يعرف المرأة ويعرف طبيعتها فيده لم تصر حية في يدها وقد أخذ هذه الصورة من القرآن وبالضبط من قصة سيدنا موسى حين تحولت عصاه الخشبية إلى حية تسعى.

وكون اليد الخشبية تتحول في يد المرأة إلى حية فهي فيها إشارة إلى الذكاء وإلى الغدر والخداع والمكر، والمرأة فيها كل هذه الصفات ومن خلالها قد يرتكب الرجل جرائم ومصائب نتيجة تلك الصفات.

ويقول أيضا:

نتوقع أن ينزل الرمل هذي العشية، ضيفا عليها

وبين يديه

عنكبوت يجر يد الغيب مجروحة إلى بيته [2]

نفهم من الرمل هنا أنه يقصد الجفاف، ونحن نعرف علميا أن العنكبوت يتحمل العطش لمدة ثلاث (03) سنوات واليد المجروحة ربما يقصد بها الواقع المؤلم الذي يعيش فيه وما فيه من حروب ودمار.

1ــ المرجع نفسه، ص69.

2ــ المرجع نفسه، ص72.

وهو أيضا يتحدث عن نهر النيل المصري داخل قصيدته هذه ونعرف أن النيل هو نهر كبير فيه ماء دائم الوجود، وبالتالي كل ما حوله دائم الخضرة وهذا دليل على عطائه الكثير من الماء ويقول أدونيس:

نبتة

صورة بين أبهى الصور

ويد النيل قالت

أن أخبيء أوراقها[1]

فالنبتة هنا هي إبن المرأة وتصفه بأنه جميل بين الصور، ويد النيل قالت؛ أي أن يد العطاء والحنان طلبت منها أن تخبيء أوراقها وذلك للحفاظ عليها، وهنا إيزيس هي رمز المرأة الحنونة المحافظة، كون العرب متصلين فقط بالدين فقد نسوا طبيعتهم الجسدية وحاجات الجسد، فهي بهذا أرادت أن تتحرر من سيطرة الدين.

وأرتميس وإيزيس هما رمز المرأة المثابرة والحنونة التي تتحمل كل شيء وهي هنا لم تتخلى عن طبيعتها هذه، بل مازالت تتحلى بهذه الصفات ــ صفات الآلهة إيزيس وأرتميس ــ وفي قوله:

تتنهد في خطواتي حقول[2]

دليل على الشساعة وكبر المساحة فنحن نقول في عاميتنا ــ واسع البال ــ وهي كذلك،

ونغني فراشات عشب[3]

دليل على المرح فحياة المرأة مرحة وطبيعتها تميل نوعا ما إلى المزاح.

ويداي وأغصان هذه النخيل

سفر في حوار طويل[4]

1ــ المرجع نفسه، ص84.

2ــ المرجع نفسه، ص92.

3ــ المرجع نفسه، ص92.

4ــ المرجع نفسه، ص92.

فهو هنا يشبه يداه بأغصان النخيل وهما عنده سواء، وهما يسافران في حوار طويل فأغصان النخيل تقع في الجزء العالي من النخلة وكذلك يداه تعتليان الجسم، ونحن نعلم أن المكان العالي له قيمة وشأن كبير على عكس المكان المنخفض.

ومما شاع في مجتمعاتنا أن ما يفعله الرجل مهما كان ومهما بلغ إلا أنه لا يعد عيبا، في حين أن المرأة إن فعلت شيئا بسيطا فهو يحسب عليها ويلازمها زمنا طويلا وربما ينسى وربما لا، ونلاحظ أن الرجل حين يصبح في حالة عشق فهو يكتبه ويعلم الناس بعشقه، أما المرأة فتعد جريمة لها ضد شرفها ويطرح (أدونيس) السؤال على لسان المرأة فيقول:

ولماذا إذا يكتب الكون أسراره
بيدي عاشق؟[1]

فهذا العاشق هنا هو عاشق لامرأة فكيف لا تتساوى حالتها مع حالة الرجل العاشق ويصير عشقها كعشقه، ونجد هذا مثلا في كتابات إمرؤ القيس الذي كتب قصة حبه لإبنة عمه عنيزة، وأصبحت قصته معروفة لدى جميع الناس، يعرفها الصغار والكبار.

واليد كما سبق وأن قلنا أنها بإمكانها القتل كما أنها بإمكانها أن تعشق وذلك من خلال ما نلحظه في كتاباتها، وما تبدعه من رسومات لها صلة مع المرأة وأحرفها، وفي هذه النقطة ــ نقطة الحروف ــ نجد أن العاشق يوما عن يوم يصبح مدمنا إما على كتابة إسم محبوبته بالكامل، أوكتابة أول حرف منه، ويكتبه بنوع من الحب ويبدع فيه أقصى درجة ممكنة ونجده يقول على لسان المرأة أيضا:

هل ستلمس صدري يدا عاشق، أم يدا قاتل.[2]

فهي محتارة حول من سيعشقها هل تكون شخصية محبة حنونة، أم شخصية جبارة قاتلة وعنيفة، وهل لها علاقة مع الآلهة وتعرف طبيعتها ــ حنونة، صادقة، وفية ــ بإعتبارها رمز للمرأة، وللأنوثة الحساسة، ونرى فيها أملا لكنه غير مصرح به أن يكون

1ــ المرجع نفسه، ص93.

2ــ المرجع نفسه، ص95.

عارفا لطبيعتها ولأهدافها، كون النساء بطبيعتهن يحببن الرجل الذي يراعي مشاعرهن وأحاسيسهن.

واليد وبما أنها أيضا عضو من أعضاء الجسم فإنها بطبيعة الحال تقوم بخدمته ككل، ودون هذا لن تكون لها إدا فائدة لأصلها وجدورها ويقول (أدونيس):

وتمنيت لو قطة تعبر الآن، لو أن منذيلها

في يدي.[1]

جاءت القطة هنا بصفة الأنثى لا الذكر، والقطة هنا رمز الألفة وهي تتمنى لو أنها ــ القطة ــ تحمل منذيل، ومن الشائع في مجتمعنا أن المرأة من طبيعتها أن تحمل المنذيل سواء كان هناك سبب أم لا، فهي ترى حمل المنذيل كأنه لازمة كغيره من اللوازم، ووظيفة المنذيل في القصيدة هي مسح الدموع، وذلك يكون عن طريق اليد، فلولم تحمل المنذيل وتوجهه نحو الدموع جهة العينين، فلن يكون هناك مسح لهذه الدموع. وبحمل القطة للمنذيل ومسحها للدموع تكون هناك ألفة بينها وبين الكلب الذي طالما كان عدوا لها ونغص عليها حياتها، وهكذا تهدأ الحياة ويكون العيش بسلام.

وفي جهة أخرى يريد أن يعيد للجسد مكانته، وذلك من خلال إعادة كتابة وحي السماء بلغة وبصيغة جديدة غير تلك التي جاء بها الوحي الذي نعرفه، أي أن يأتي بوحي جديد يتلاءم مع طبيعة الجسد وما يريده هذا الأخير وهذا يظهر من خلال قوله:

ونخط لغات السماء

بيد حرة ــ لغة الحب والشعر والكمياء. [2]

أي لغات لا تعتبر الحب عيبا أوعارا، ولا الشعر ولا الكمياء.

ب/ الوجه:

وأيضا يمثل الوجه عضوا من الأعضاء التي تحدث لغة وهو له لغة خاصة به وأيضا بأعضائه مثل العين والأنف والشفتين، كما يعتبر الوجه واجهة صاحبه، وهو يدل عليه ويقول (أدونيس) هنا:

"وهاهي شحادة، وفي وجهها بثور." [3]

1ــ المرجع نفسه، ص103.

2ــ المرجع نفسه، ص119.

3ــ المرجع نفسه، ص08.

وهو هنا يدل على صورة امرأة خرجت تشحد من العامة ويقول في وجهها بثور وهذا دليل على ما تعانيه فلولا معاناتها هذه لاهتمت بوجهها واستعملت كل ما يلزم من مواد لمعالجة بثوره حتى يصير صافيا ذا بشرة نظرة.

وهنا يقال عنه أنه مثل القمر وهنا نشبه الوجه بالقمر، ويقول:

"قمر من حجر

يقرأ الحب فيه

وجوه البشر".[1]

والبشر يقرأون هذه الوجوه من خلال هذا القمر، والذي هو بدوره دليل على دورة الحياة من خلال مراحل تشكله من البداية حتى يأفل، كما يقرأون فيه الحب الذي هو من أجل الحياة، ومن خلاله يولد ليعم بين الناس، أو بالأحرى بين العشيقين فنجد العاشق الولهان في كل ليلة يتطلع إلى القمر ويبلغه ما يتمناه من محبوبه كأن يظل معه ولا يفارقه، كونه وفي نظره لو حصل على هذا حتما سيموت.

ونظرا للمعاناة التي تعيشها المرأة والتي تكابد من أجل أن تتغلب عليها فهي تقول:

"أتركيني، ياهذه السماء إلى كيد هذا الغبار الذي يتصاعد

منك

الذي يضرب الآن وجهي".[2]

فالغبار المتطاير من السماء يحط من قيمة الوجه كونه يلفحه ويتضارب مع تعاليمه، وهذا اللفح والتضارب ربما يشوه الوجه الذي كان مكرما وصار الآن مذلولا ومهانا.

والمرأة هنا وفي القصيدة ترفض الرجل وتشبهه بحصاة وتقول:

"لا مستني حصاة لها شكل وجه".[3]

فهذا الرجل هنا شبيه بالحصاة أوالحجر، فهو متحجر المشاعر، مما جعله متحجر الوجه، فمشاعره إنعكست على وجهه وجعلته بتلك الصورة في رؤية هذه المرأة.

وتقول المرأة:

1ــ المرجع نفسه، ص11.

2ــ المرجع نفسه، ص21.

3ــ المرجع نفسه، ص57.

"يهجر الآن وجهي، وجهي
كان يمكن أن يسبح النجم في ماء عينيه
قبري قريب إلي".[1]

فوجهها بعد أن كان مضاءا وبهيجا، أصبح الآن جافا ومظلما بسبب الهجر الذي تعاني منه، فلو لم تصادف المصير المر لما كان له أن يجف، ولكان مليئا بالماء الذي في العينين ــ الدموع ــ والنجم رغم كبره وإتساعه إلا أنه كان سيتسع بماءه للسباحة، أما عبارة "قبري قريب إلي" فهي دليل على أن هذه المرأة تشعر وكأن أجلها قريب ولم يبق لها وقت طويل حتى تموت والسبب هنا هو هجرها.

وكما أوردنا سابقا أن الوجه يمثل واجهة الإنسان فحيث أداره كانت وجهته إلى ذلك المكان، فمن غير المعقول أن يكون وجهه موجه إلى الأمام وهو يسير إلى الوراء، إلا إذا كان ذلك لضرورة ما والمرأة هنا وجهة وجهها نحو حبيبها بينما كانت تمشط شعرها:

"أمشط شعري، أوجه وجهي لحبي" [2]

وتقول في مرة أخرى

"أغلق الكون في وجهي الآن". [3]

دليل على عودة المعاناة من جديد، لأنها أصبحت حيث وجهت وجهها لا تنال مرادها وما تسعى إليه ونحن نجد هذا التعبير الشائع في مجتمعنا فيقال غلقت في وجهي جميع الأبواب.

ج/ النهدين:

كما وظف (أدونيس) في قصيدته عضو الثديين، الذي يرمز إلى الأنوثة والجاذبية والأمومة وحنانها، وفي هذا المقام يقول (أدونيس) على لسان المرأة:

"قمر، بين ثديي"[4]

وكما أوردنا سابقا أن القمر يدل على دروة الحياة، وهنا دروة حياة المرأة بين ميلاد خصوبتها وموتها، وهذا يعني أن الأنوثة التي بين ثدييها اللتان ينبع منهما الفئ

1ــ المرجع نفسه، ص71.
2ــ المرجع نفسه، ص123.
3ــ المرجع نفسه، ص123.
4ــ المرجع نفسه، ص10.

والحنان ــ وهذا نراه في الطفل الصغير، فعندما تضمه الأم إلى صدرها فإنه يشعر بحنانها عليه ويسكت بعدما كان يبكي.

كما تتمنى المرأة أن تكون إلهة من الآلهة ذات قدرة خارقة وعالية، حتى تستطيع أن تفعل ما يدور في نفسها وما تتمناه، وبالذات تتمنى لو تكون هي الإلهة أرتميس ــ وهي أخت الإله أبولو كما أنها هي إلهة الصيد والغابات ــ وأمنيتها لو أنها تستطيع بقوتها أن تخرج القمر الشيخ من تحت نهديها طفلا؛ أي أن تعيد للشيخ الهرم الذي ضاعت منه طفولته وشبابه جراء هذه المعاناة التي يعيشها هو وتتقاسمها هي معه، ويخرجان معا من ظلم العبودية والقهر وفي هذا يقول:

"كم تمنيت لو أنني أرتميس:

أخرج القمر الشيخ من تحت نهدي، طفلا. [1]

وفي قولها:

"أتخيل. يلقي رأسه فوق صدري،

وكأني أصغي إليه:

من أبي؟ ما إسمه؟"[2]

وهي هنا تحضن طفلها، تتخيل أنه يلقي رأسه فوق صدرها، وهو صدر الأم الحنون، فالإنسان مهما كبر ومهما تقدم به العمر، فليس له صدر يبكي عليه سوى صدر أمه، فهو يحس أنه بمجرد أن يستند إلى صدرها فهي تحس بألمه وبمعاناته حتى قبل أن يفصح هو عنها، وهذه كما نعرف هي طبيعة الأم، تحس بأبناءها وبآلامهم قبل كلامهم.

فهي تشبه نفسها والطبيعة بثديها كونهما صورة طبق الأصل عن بعضهما ولهذا تشبه نفسها بالطبيعة فهما معا شيء واحد ليس بينهما فرق.

د/ الرأس:

ويعتبر الرأس أهم عضو في الجسد بعد القلب لأنه يضم العقل والذي به تميز الإنسان عن غيره من الخلق، وبالعقل يمكن أن نتخيل كما يمكن أن نتذكر ما فات علينا من ذكريات والرأس بالكامل له لغة خاصة به عن طريق هزه، وتقول المرأة:

1ــ المرجع نفسه، ص15.

2ــ المرجع نفسه، ص43.

"ليس في رأسي الآن غير الخراف، وغير سكاكينها." [1]

فهي الآن تستبق الأحداث وتتخيل في ذهنها كما تتوقع أن مصيرها سيكون مثل مصير الخروف الذي جلبوه ليوم العيد، فهي ترى السكاكين التي ستمر بعنقها وتقطع الخيط الذي يربطها بالحياة، ويقطعها عنها.

ونتيجة لمعاناة المرأة هي وطفلها، ومن شدة التفكير فيما سيحدث وكيفية الخلاص منه أصبحت خاوية من الداخل وهنا تقول:

"وفراشي، ورأسي وقلبي قفر" [2]

ومن هذه المعاناة أصبحت لا تستطيع التفكير ولا تستطيع أن تحس كونها أصبحت قفرة (فارغة).

وبإعتبار الرأس هو أعلى ومقدمة كل شيء كما هو عند الإنسان، فنحن نقول رأس الشجرة، ورأس الخيط، ورأس الجبل... تقول الرواية هنا برأس النجم في تعبيرها

"يظهر الآن بوم على رأس نجم" [3]

فهي تعتبر النجم له رأس والبوم هو نذير شؤم عند العرب كونه دليل على الظلام والوحدة، فهي متشائمة مما سيحدث فيما بعد نتيجة رؤيتها لذلك البوم على النجم، وكون النجم كوكب مضيء، فالبوم سيجعله مظلما، فكل ما كان مضاء سيحل مكانه ظلام وعتمة تمر عليه مدة حتى يرجع إلى أصله كما كان، فالنجم هنا بمثابة الوحي الذي ينزل من السماء والذي أشار (أدونيس) إليه بالنبوات، وهو النور للبشر وما ستفعله هذه المرأة سيجعل الظلام يحل في نفوس الناس وعقولهم ويزيغون عن طريق الهدي.

ومنذ القديم عدت حركات المرأة عيبا عليها خاصة حركة الجري لأنها تؤدي إلى تحرك جسد المرأة كله مما يثير شهوة الرجال حولها و(أدونيس) هنا، وعلى لسان المرأة يحاول أن يتخطى هذا العيب ويجعله شيئا عاديا حتى يعلم الرجل ما للمرأة وما فيها من الداخل من حياة وهنا يقول (أدونيس):

" سأصلي لجسمي

لثنياته،

1ــ المرجع نفسه، ص16.

2ــ المرجع نفسه، ص23.

3ــ المرجع نفسه، ص24.

لتقاطيعه،

ولنهدي مسترسلين. صعودا هبوطا

إلى كل ما جهلته النبوات فينا" [1]

والمرأة هنا تتحرر فبدل الصلاة لخالقها وبارئها، فهي تعبد جسمها وتصلي له، ولكل ما فيه من مكونات وأعضاء.

كما أنها جعلت من إبنها نبتة ووصفته بأجمل الصفات وأرادت أن تخبئه في صدرها وتحت نهديها تقول:

"صورة من أبهى الصور

ويد النيل قالت

أن أخبئ أوراقها

تحت نهدي" [2]

وربما أرادت ان تخبئه تحت نهديها حتى لا يتأثر بما جاءت به النبوات، وتنشئه هي حسب ما تراه وحسب التحرر الذي في نفسها وهكذا يكون إبنها متحررا.

كما حاولت أن تجعل الطبيعة مثلها لا ضدها، فحاولت أن تشبهها في كل شيء في ثورتها وفي غضبها، في هدوئها وفي جمالها وتقول:

"من يقول الطبيعة ضدي؟ الطبيعة مثلي

نحن ثديان في جسد واحد" [3]

وفي قول الجوقة:

"ينظرون إلى الرأس هابيل في الحفرة" [4]

هو هنا رمز الخير الذي مات نتيجة لعناد الشر الذي لم يتقبل الهزيمة (قابيل)، فمن مات منا سوف يدفن، والرأس هنا دليل على الكل فالذي دفن ليس رأسه فقط بل جثته كاملة بما فيها الرأس.

ثم إن هذه المرأة دائمة التفكير في زوجها وتقول:

1ــ المرجع نفسه، ص83.

2ــ المرجع نفسه، ص84.

3ــ المرجع نفسه، ص91.

4ــ المرجع نفسه، ص72.

"قلقي أن رأسي مليء بك الآن،
أنت الذي كنت زوجي." [1]

فلم تعد تفكر فقط فيه وهو الذي يشغل بالها ويملأ رأسها، فهي تتساءل هل هو ركام ثياب؟ هل هو حي أم ميت؟ كما تتساءل كيف لها أن سلمت نفسها له؟

ه/ العين:

والعين عضو حساس في الجسم ويعتبر مرآة الشخص على العالم، وكما له لغته الخاصة به، ويجعل لها (أدونيس) في قصيدته هذه لغة إستثنائية.

فالعين تدمع إذا تأثر صاحبها بموقف ما، وهذا الدمع يسمى بكاء، وتقول المرأة:

"عيني ــ مجبولتين بدمعيهما" [2]

أي أن الدموع كتبت على المرأة وصارت مصيرها بعدما مات طفلها وصار يشوى على نار الأبوة.

ويقال أن البكاء يخفف من الهموم كما يساعد على نسيانها، ويقال أن الدموع تغسل القلب، وتزيل السموم من الجسم وهنا تقول المرأة في هذا المعنى:

"أتغلغل في عزلتي، تحت جلدي، في الصمت،
في نعمة البكاء
وأزحزح هذا الثقيل الفضاء" [3]

فهي تبكي من أجل أي تنزع صورة هذا الرجل من عقلها ومن قلبها ولكن هذا لا يكون إلا في العزلة والصمت وبالبكاء أيضا حسب نظرها.

كما أن العين لها وظيفة الرؤية، فبها يرى الشخص عالمه وما حوله، ومن كان لا يستطيع الرؤية فهو يعيش في عالم الظلام. وتقول المرأة:

"وأرى فيك غيبك، غيبي، خذني." [4]

وهي بهذا تقصد أنها ترى مستقبلها في هذا الشخص، ورغم هذا فهي تريد أن تذهب معه مهما كان ما تراه.

1ــ المرجع نفسه، ص120.
2ــ المرجع نفسه، ص21.
3ــ المرجع نفسه، ص23.
4ــ المرجع نفسه، ص41.

ثم إن العين لها سلبيات كما لها إيجابيات فهي دليل على الحسد والغدر أيضا، فتقول المرأة هنا لجسمها:

"وكن كالفجاءة في عين ذئب"[1]

أي كن صاحب القوة والسلطة، وكن أنت المسيطر، والمتحكم في المكر والخداع.

فالذئب معروف بمكره وخداعه خاصة لحظة الجوع، حيث يصبح مكار مثله مثل الثعلب، فالمرأة هنا تطلب من جسمها أن يكون خداعا من أجل الوصول إلى حاجته وهدفه.

وفي قول (أدونيس) على لسان المرأة:

"عيناي رمل"[2]

ومن المعروف عن الرمل يتميز بخاصية النفاذية، والتي من خلالها يصل الماء إلى الأرض ليسقيها، ويبث الحياة فيها، و(أدونيس) عندما يقول ــ عيناي رمل ــ فهذا يعني أن هذه المرأة بواسطة عينيها تستطيع أن تدخل الضوء إلى داخلها هذا الضوء الذي بواسطته ترى الدنيا ومن حولها، وتبث الحياة فيها، وتشعرها بالأمل وسط العذاب الذي تعيش فيه.

ب) كلية الجسد :

أوردنا في تعريفنا للجسد أنه بلا روح، وحين يصبح الجسم بلا روح فإنه يكون عرضة للعفن والروائح الكريهة، وهنا يشمئز منه الجميع، وينفرون منه لكن (أدونيس) يريد أن يعيد لهذا الجسد حياته، كما يريد أن يرفع من قيمته وشأنه مهما كانت حالته وهنا نجده يقول على لسان الجوقة:

"جسد سيد

جسد طيب كريم"[3]

هو هنا يثني على الجسد ويصفه بالسيد، وهو طيب وكريم؛ إذا هو ضد ما قيل عنه ممن أهانوه وحطوا من قيمته، فالسيادة لا تكون إلا للمتمكن وذا الشأن العالي، كما أن الطيبة والكرم تعدان من جود الأخلاق، لذا جعلهما من صفات الجسد.

1ــ المرجع نفسه، ص65.

2ــ المرجع نفسه، ص125.

3ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص14.

وعلى لسان المرأة كان الجسم كحاجز بينها وبين زوجها، حيث أصبح يحول بين صداقتها وحبها هي وزوجها، وهنا نلاحظ أن قيمته بدأت تنقص ومنزلته تنحط في قول المرأة:

"لا صداقة، لا حب، جسم غريب

بين زوجي وبيني."[1]

ولشدة معاناة هذه المرأة أصبحت تسأل عن زوجها وقولها "كيف بعثر جسمي؟" [2] من طرفه وذلك بتخليه عنها في الظروف الصعبة، حيث أنها أصبحت تشعر وأنها لا قيمة لها دون زوجها، وهي أيضا تتساءل هل له زوجة أخرى، أم هو يفكر في طفله بينما هي يائسة.

كما تقول بأن جسمها ليس عصا كي يصير إلى حية

"ليس جسمي عصا كي يصير إلى حية، والملائك ليسوا

ملوكا علي،

أصلي لجسمي وإسمي" [3]

فمن شدة ما أهانوها أصبحوا يصفونها بالحية رمز الغدر والموت وهي ترفض هذه الصفة وترفض تحول جسمها إلى حية، وترفض أن تكون مرؤوسة من قبل الملوك، ورغم وصفهم لها بالحية على إعتقادهم برمزيتها إلى الموت إلا أن العلم جاء فيما بعد وأنصفها وأعاد إليها حقها، حيث أصبح سمها القاتل يستعمل كدواء لعلاج بعضالأمراض، وقضية تحولها إلى حية مستقاة من القرآن الكريم، وبالضبط من قصة سيدنا موسى الذي ألقى عصاه وتحولت إلى حية، ثم إن هذه المرأة نجدها من خلال قولها:

"أصلي لجسمي وإسمي." [4]

فهي بدل أن تعبد الله الذي خلقها فهي تعبد جسمها وإسمها اللذان يدلان على وجودها في الكون وبين الخلق ومن خلاله تستطيع إثبات نفسها وتغيير مكانها عن طريق الرحيل من مكان لآخر

1ــ المرجع نفسه، ص15.

2ــ المرجع نفسه، ص16.

3ــ المرجع نفسه، ص17.

4ــ المرجع نفسه، ص17.

ومن جهة أخرى تطلب المرأة أن تتخلص من جسمها فتقول:

"ما أقول؟ إختطفني

أيها الحب، وإقذف بجسمي انى تشاء؛" [1]

وهذا من أجل أن تتخلص من معاناتها وحتى لا ترى معاناة طفلها الصغير الذي يعاني من نار الأبوة ومن واقعه المعاش الذي يهان فيه كل يوم.

ومن جهة أخرى يقول (أدونيس) في قصيدته:

"سألاقيك، يا من سأعطيك جسمي متى شئته" [2]

أي أنها ستمنح جسدها وتعطيه لمن ستلاقيه، وهذا دليل على شهواتها وملذاتها التي تريد تحقيقها مهما كان ثمن ذلك، مما يدل على لامبالات المرأة وعدم خضوعها لتعاليم الدين وما جاء به الأنبياء والذي فيه نهي عن الزنى، فبإقامة المرأة علاقات مع رجال غير زوجها تعتبر في ديننا زانية ويطلق عليها حكم الزاني والزانية وهو الجلد.

"لا أحس بنفسي، لا أحس بجسدب

لاأحس بأني أحيا إذا لم أعانق

جسدا آخر" [3]

وهنا تأكيد على نزوات هذه المرأة المستعرة، فهي تريد أن تحققها مهما كانت طبيعة من سيكون السبب في تحقيقها، فهي هكذا لن تحس بنفسها ولا بوجودها إن لم تحققها، وهذا مناف لطبيعة الدين والأخلاق التي نحيا عليها والتي تتسم بها المرأة، فهذه المرأة في القصيدة تجردت من كل الصفات التي تمس المرأة من العفة والحشمة والوفاء، فقد سلمت نفسها وذلك يظهر من خلال قولها:

"هكذا أيها الجسد الحب أسلمت صوتي إليك" [4]

والمرأة تريد الحصول على جسم الآخر وتتحد معه ليصيروا معا جسدا واحدا ويقول:

"أعطيني جسمك المنور يا أنت، خذني إليك، إلى سحر

1ــ المرجع نفسه، ص21.

2ــ المرجع نفسه، ص27.

3ــ المرجع نفسه، ص37.

4ــ المرجع نفسه، ص38.

أعضائك الآسره[1]

فإما أن تحصل على هذا الجسد، وإما تذهب هي إليه، فالمهم عندها هو تحقيق شهواتها ولذاتها دون النظر إلى ما يقوله الدين و الأخلاق.

وهي تود الذهاب مع هذا الجسد مهما كانت العاقبة ومهما كان الحال ومهما كان المستقبل وتسلم نفسها إليه ونفهم هذا من خلال قولها:

"وأرى فيك غيبك، غيبي، خذني.

جسدي طين حب، وأسلمت نفسي إليك" [2]

وهنا هي تخبر عن أصلها أنه من طين، لكن من طين حب بمعنى أنه يستطيع أن يحب رغم طبيعته الطينية، وسلمت نفسها إليه

"جسدي ما أراه، وما لا اراه" [3]

فهي هنا تقول بأن الجسد يتكون مما هو مرئي ومما هو لا مرءي، فمنه ما ظهر ومنه ما استتر، وما ظهر فهي الأعضاء الخارجية من مثل اليد والقدمين وأعضاء الوجه من العينين والشفاه... وما استتر نجد القلب والرئتين...

"جسدي خرقة، تقول تعاليمهم" [4]

أي أنهم جعلوا منه خرقة يمسح بها الغبار كما تمسح به الأوساخ من كل شيء فهم هنا وبتعاليمهم هذه حطوا من قيمته، ولو كان الواقع كذلك أما كان للمرأة أيا كانت جنسيتها قيمة إجتماعية لا عبر الزمن ولا عبر الحضارات المتتالية.

وبإعتبار تعاليم هؤلاء حطت من قيمة المرأة وجسدها فإنها تطرح هنا سؤالا تقول فيه "... لماذا تقول تعاليمهم:

"جسدي خرقة؟ وأعبر فيه من فضاء إلى آخر" [5]

فلو كان الجسد خرقة كما يقولون، لكان رمي في زاوية ما ولن ينظر إليه أحد، لكن هذه المرأة تقول وأعبر فيه من فضاء إلى آخر وكأنه طائرة أو مركبة فضائية تنتقل فيه

1ــ المرجع نفسه، ص39.

2ــ المرجع نفسه، ص41.

3ــ المرجع نفسه، ص49.

4ــ المرجع نفسه، ص49.

5ــ المرجع نفسه، ص49.

هذه المرأة وتغير مكانها متى تشاء، وكأنه وسيلة مايحقق بها كل ما تريده، وهكذا يمكنها أن تتجزأ أو تتنوع أو تتكامل وبعبارة أخرى تمارس كل ما يخطر على بالها كون الجسد هو جسدها هي وملك لها وحدها.

"جسدي ما بدأت وما أبدأ"[1]

وكأنها تقول هنا أن جسدها هو ما بدأت به حياتها، وما ستبدأ به الآن، اي أنها ما عاشت به من قبل محرومة وما ستعيشه الآن وتسعى لتحقيق ما يدور في خاطرها وكل ما تحلم بتحقيقه.

"جسدي كل ما اتذكر، ما أتقصى، وما أقرأ"[2]

أي أنها لا تتذكر من كل معاناة التي مرت بها إلا جسدها، وهذا فيه نوع من الصحة إذا ما تأملناه، فمن كل التجارب تبقى إلا الذكريات وهي شيء معنوي وتنسى مع مرور الوقت في حين أننا نجد أن الجسد مهما مر عليه الزمن إلا أننا نجده، رغم حدوث بعض التغييرات عليه إذ ليس من الممكن إن يبقى كما هو، فحتى الجبل لو مر عليه زمن طويل يتفتت صخره ويتحلل ويصير حجارة وحصى صغيرة، أما في قولها:

"ما اتقصى"

فبكونه شيء مادي كما سبق وأن أشرنا فمن اللازم أن تتفصى عليه وتجده لتكمل به حياتها فدونه لن تكون لها حياة، ولن يحس أحد بوجودها داخل هذا الكون، أما بخصوص قولها:

"ما أقرأ"[3]

هل هي تقصد هنا قراءة لغة الأعضاء بما أنه لكل عضو لغة تختص بها فللوجه لغته فمثلا حين يأتي أحد لارتكاب جريمة ما فإننا نجد عيناه تضيقان بسبب صعود الجفن السفلي، وحاجباه يكونان بشكل مستقيم، وتتشكل في جبينه تجاعيد عمودية، وللرأس لغته فعندما تهزه من الأعلى إلى الأسفل يعني موافق، وعندما تهزه يمينا وشمالا تعني الرفض وهكذا بالنسبة لبقية الأعضاء كل له لغة تعني شيئا ما

1ــ المرجع نفسه، ص49.

2ــ المرجع نفسه، ص49.

3ــ المرجع نفسه، ص51.

"....."، وماذا

أنت، يا كاسر الكلمات، الذي مر شاقوله

بين جسمي واسمي، ما الذي ينبغي؟" [1]

هنا تتساءل المرأة، وتراها تقصد بضمير المخاطب "أنت"؟ ومن تصف بكاسر الكلمات؟ هل هو زوجها؟ وهل صفة كاسر الكلمات تعني أنه لم يعد يكلمها وذلك من خلال هجره لها، وكون الكلمات قاسية عليها فقد فصلت بين جسمها واسمها كأنه شاقول يوازي بين جسمين؛ أي أن جسمها أصبح مجهول الهوية ودون إسم يدل عليه وأصبح وحده منفردا هو في صفة والإسم في الصفة المقابلة.

"لامستني حصاة لها شكل وجه

وانحنت نبتة على قدمي، تراه

جسدي يتغرب عني؟" [2]

هنا في الصورة، ترى المرأة جسدها وكأنه غريب عنها، فبعد أن كانت ترى فيه حاضرها ومستقبلها، كما كانت ترى فيه أحلامها وشهواتها. اصبح اليوم غريب عنها، وذلك لأنها لامست جسدا آخر غير جسدها، وهذا نراه في الوجه الشبيه بالحصاة، وبالنبتة التي انحنت على قدميها، فهذان الجسدان جعلا من جسدها جسدا غريبا، وهنا ربما نرى أنها لم تعد تحس بجسدها بل بالجسد الذي لامسها، وهذا نراه إذا لامس جسدنا شيء ما، فنصبح لا نفكر في جسدنا نحن بل فيما يلامسه، مثلا ربما ثعبان سوف يلدغنا أو شيئا آخر ربما سيؤثر على جسدنا مما يجعلنا غير مرتاحين لذلك الشيء إلا إذا اكتشفنا ما هو.

وفي صورة أخرى تمدح هذه المرأة نفسها فتصفها بأنها ارق أنواع الضوء ذلك كونها أما، وهنا نفهم أنها جد حنونة على إبنها وحساسة من جهته، فربما من لمسه أو ضره بشيء حتى ولو كان صغير، كأنه أخذ منها حياتها كما تقول:

"..... أني

لا أمجد إلا

جسدي وانخطافاته" [3]

1ــ المرجع نفسه، ص51.

2ــ المرجع نفسه، ص57.

3ــ المرجع نفسه، ص63.

فهي هنا تعني بالانخطافات ربما أحاسيسها ومشاعرها، فالمرأة كما يقال لديها حاسة سادسة، فمثلا هي تشعر بالخطر الذي يهدد ابنها حتى وإن كان بعيدا عنها، وكما يقال "قلب الأم دليلها" فهي تصدق قلبها وتمشي وراء ما يقول لها حتى تمنع ما كان سيحصل لابنها، ونجد أن هذا القول كثيرا ما يصدق فعلا.

".....جسمي

ورق في مهب....."[1]

وكأنها هنا تقول لنا بأن جسمها أصبح كمثل أوراق الخريف المتساقطة، والتي تدورها الرياح من مكان إلى آخر حسب جهة هبوبها؛ وكأن جسمها هنا أصبح فارغا، لا فائدة منه، وكأن الدمار والخراب يعم كل ما حولها مما جعلها متشائمة فما من داع يجعلها تحلم كون لا شيء في عالمها سيساعدها على تحقيق تلك الأحلام.

"وأصلي لجسمي:....."[2]

قولها أصلي لجسمي فهي تعبده، ولكننا نعرف أن المعبود هو الله جل وعلا، فلماذا تراها تعبد جسمها؟ نقول نحن ربما لأنه يحقق لها كل ما تطلبه في الحال، فما تطلبه تجده دوما حاضرا وملبى، وهذا يعيدنا إلى آراء الفلاسفة الذين قالوا بأن الجسم هو مصدر الشهوات، فربما تعبده لأنه يحقق لها شهواتها متى أرادت هي ومتى رغبت بذلك، لهذا جعلت منه إلها لها وتصلي له.

"سأعيد لجسمي للفرج الكوكبية فيه، لخلاياه أهواءها" [3]

فهي هنا تريد أن تعيد لجسمها والذي وصفت كل ما بداخله كأنها كواكب ربما يكون هذا الوصف لأنها كانت مفتونة بجسمها لدرجة أنها جعلته كوكبا من كواكب المجرة، وهي تريده أن يستعيد كل ما فقده من أهواء وشهوات وذلك الذي فقدته بسبب ما جاء به رجل الوحي الذي حرمها من كل شيء كانت ومازالت ترغب فيه.

"جسدي يتفتح، عطري

يتضوع أعلى وأبعد من أن تحيط بأسراره،" [4]

1ــ المرجع نفسه، ص65.

2ــ المرجع نفسه، ص65.

3ــ المرجع نفسه،ص67.

4ــ المرجع نفسه،ص69.

هي هنا تجعل من جسدها وكأنه زهرة ذات عطر فواح يعلو وينتشر في كل مكان حتى أننا لن نعرف سر هذا العطر وكيف ينتشر، وربما لأنه عطر من نوع خاص وحتى مكوناته لها طبيعة خاصة، وهنا نشبهها بزهرة النرجس التي تحكي أسطورة نرسيس والذي كان الأجمل بين أقرانه والذي عشق نفسه حين رأى وجهه على صفحات مياه النهر وفي المكان الذي مات فيه نبتت زهرة النرجس المشهورة بجمالها وبعطرها الفواح.

"قلقي فيك أني أحب وأصبو
وأعشق جسمي وأهفو إلى عاشق
يكون صديقا"[1]

وهذا يعني أن مع كل ما يعانيه الجسد من قهر وظلم وتهميش فإن هذا لا يمنعه من أن يحب ويعشق ذاته من جهة، ويحب ويعشق من حوله من جهة أخرى، ويتسامح معهم ويبحث بلهفة وحرقة عن الآخر، الذي يكون له سندا ومعينا على ما يعيشه، ويكون صديقا بكل ما تحمله الصداقة من معنى، وبالتالي يكون مصدر الرعاية والحنان له.

أما فيما يخص قوله:

"إنه الحب: شرقت فيه
واغرب جسمي"[2]

فهذا دليل على أن المرأة هنا جعلت من جسمها بوصلة الحب لتنثره في أنحاء العالم عبر جهاته، فالمرأة هي سر جمال كل شيء في هذا الكون وهي التي تعطي للحياة معناها بفضل طاقة الحب التي بداخلها والتي إذا وزعت على العالم حولته إلى جنة وبعثت الحياة فيه.

"مرة قال جسمي: قدمت حبي قربان تيه
إلى الله."[3]

أي أن هذا الجسد لكي لا يضل عن الطريق مجددا ولكي لا يتعرض للتيهان في هذه الأرض فقد قدم الحب الذي بداخله كقربان لله يمنع عنه الضلالة والضياع، لأن الحب

1ــ المرجع نفسه، ص73.
2ــ المرجع نفسه، ص77.
3ــ المرجع نفسه، ص77.

يساعد الإنسان على معرفة الطريق ويبعده عن الضلال ويضيء الطريق أمامه، فالجسد الذي يملأ بالحب يسطع النور من داخله فينير له الدرب.

"ولماذا

لا أرى الحب في كل جسم؟" [1]

تسأل المرأة هنا وهي حائرة على عدم وجود الحب في جميع الأجسام، وربما هي هنا تقصد أجسام من صادقتهم وأحبتهم، فليس كل الناس يحبون ببساطة لأنهم ليست لديهم القدرة على حب الآخرين، ربما لأن في قلوبهم مرضا أو لديهم مرض نفسي فلا يحبون الآخرين ومن جهة يريدون منهم أن يحبوهم بغض النظر على ما في قلوبهم، وإن لم تحبهم سيظنون أنك أنت المريض وليسوا هم.

"خطواتي قيود، ولكن جسمي فضاء

آه ما أجمل الحياة وسحقا لجنتها المرجأه" [2]

فخطواتها هنا مقيدة، وذلك ربما بسبب تعاليم الدين الإسلامي فالمرأة فيها لديها حدود لا يجب أن تتخطاها، كعدم تعرية جسمها مثلا، وعدم الكلام والتسليم مع الرجال من عدا زوجها ورجال أهلها، ولكن جسمها فضاء وكأنها تقول بأن الآخرين يجب أن يروا جسمها الكبير هذا حتى يبهروا بجماله وفتنته وهي تلعن الجنة التي وعدت بها إذا لم ير أحد جسدها وتتمتع هي به.

"أمك العبدة الجارية

جسد يقحم الغور، والهول والشهوات وأسوارها العالية؟" [3]

فهذه المرأة العبدة جارية أو خادمة في بيوت أحد الأغنياء، لكن جسدها هذا ورغما عن أنف من قالوا بأنه جسد ضعيف ولا يتحمل، فهو يواجه كل ما يعترض طريقه وإن كان هولا مخيفا فهو يتحداه، والذي تقصده بأسوار الشهوات العالية هو أن هذه الشهوات أحيطت بها حتى لا يقربها أحد ولا يستطيع الوصول إليها، ولكن هذه المرأة، ونظرا لقوة جسدها فقد تحدتها واخترقتها ووصلت إلى مرادها

"ولماذا

1ــ المرجع نفسه، ص77.

2ــ المرجع نفسه، ص80.

3ــ المرجع نفسه،ص81.

لا أرد إلى جسدي سره

وأقول: ابتكرتك، يا حب، من أول"[1]

هي هنا عازمة أن ترد الإعتبار لجسدها وتعيد إليه سره الذي انكشف، ربما من ممارستها الشهوانية التي حققتها بعد أن كانت تحلم بها فقط، وتقول بأنها ابتكرته من جديد، وأعادت صناعته وتصويره وربما هذا بشكل مختلف عما كان من قبل، ليعود إليها الحب من جديد وتعود هي إلى سابق عهدها الذي كانت تسعى فيه إلى تحقيق شهواتها، فالمرأة مهما صار معها ومهما واجهت، فهي لا تيأس وتبقى تحاول وتصر على هدفها حتى تحققه.

"كي يرى لون قلبي وجسمي في صبر ترحاله الطويل؟" [2]

فهي تريد أن تعلم الآخرين بلون قلبها، هذا اللون المتغير، والقلب سمي قلبا لأنه شديد التقلب، ففي كل مرة تراه بمزاج وبين دقيقتين يتحول عدة مرات، وأما بالنسبة للون جسمها فقد رأينا أن القدامى وبسبب إنتقالهم الدائم وعدم استقرارهم على أرض واحدة، فإن جسدهم يتغير مع تغير البيئة فربما تتلاءم بشرتهم مع تلك البيئة الجديدة فتصبح نظرة، وربما لا فتصبح خشنة ومتشققة.

وبالنظر إلى كلمة "حبر" فربما تقصد بها كتاباتها التي كتبتها خلال رحلاتها وتنقلاتها وعلاقاتها مع الآخرين، ففي كل شيء جديد ترى جديدا وتسجله في دفاترها وهكذا تصير كتاباتها بألوان مختلفة، وهنا لا نقصد لون الحبر كخط للكتابة وإنما نقصد المضامين، فكل مضمون يضم لون وطبيعة البيئة التي تكتب فيها وعنها.

"من سأقاسم جسمي"[3]

فالمرأة هنا تريد جسدا تقاسم معه جسدها ولكن يقال أنه "كان [4]جسدا واحدا ولكن الآلهة، هي التي جزأته. ولذلك نجد كل نصف يبحث عن مكمله ويحن إليه بإستمرار، وذلك عن طريق الحب الذي يشكل المسرح الفعلي والرائع للجسد في تواصله"، فكان من

1ــ المرجع نفسه، ص81.

2ــ المرجع نفسه، ص82.

3ــ المرجع نفسه، ص95.

4ــ كتابات معاصرة فنون وعلوم مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية،المجلد السابع، العدد السادسوالعشرون، شباط ــ آذار1996، بيروت، ص29.

الأفضل لها أن تقول: مع من سيتحد جسمي وذلك لأجل أن يصير جسما مكتملا، فلو قاسمته سيصبح الناتج هو الربع وبدل أن تبحث عن نصف واحد تصبح باحثة عن جزأين، فلماذا كل هذا التعقيد وكل هذا الغموض، فبكلمة واحدة ستجهد نفسها زمنا طويلا فكان لها أن تختصر أفضل.

"ليس لي غير جسم يموت

مثلما يعبر الظل أو ينسج العنكبوت" [1]

المرأة هنا إن تجد نصفها الآخر والذي ستقاسم معه جسدها حتما ستموت كون الفرد دائما يبحث عن نصفه الثاني فإذا يكتمل جسده ويصيرا معا جسدا واحدا وقولها مثلما يعبر الظل أنها تشبه موتها بالموت البطيء كون هذا الظل يمشي ببطئ ونسيج العنكبوت التي تقتل فريستها أيضا على مهل بعدما تدس السم في جسمها الصغير، وبعدها تأخذ منها دمها وتدعها جسما بلا روح يدهب مع الرياح في كل إتجاه.

"ولماذا، لا ترى كيف نوغل في جسدينا

نتوحد....."[2]

هي هنا تسأل نصفها الثاني كيف له أن لا يرى الكيفية التي يتحدان فيها معا حتى يصيران جسدا واحدا كما كانا قبل أن تفصلهما الآلهة عن بعضهما البعض وكيف لهذا الإتحاد أن يكون في أعلى مراتب البهاء بسره وكيف يكون ساطعاوكأنه شمس يمد نوره على سائر الأماكن في هذا العالم الواسع إلى درجة يصبح هذا الإتحاد لا يفرق بين الأرض والسماء، حيث يصيران عنده بمعنى واحد.

"((جسدي ليس مني)) تقول تعاليمهم." [3]

وكأنها هنا تدل على قصة خلق حواء من ضلع آدم الأعوج، فهي بهدا ليست حرة بل هي تابعة لجنس آدم، فلولاه لما وجدت هي، وهذه التبعية هنا ما هي إلا دليل على قيمة الجسد ــ جسد المرأة ــ فهي هنا أقل من قيمة جسد الرجل كونه هو الأصل وهي الفرع ودائما قيمة الفرع أقل من قيمة الأصل وهناك فروق كبيرة وشاسعة بينهما.

"يتعدد جسمي في لحظة يتفرد في لحظة" [1]

1ــ المرجع السابق، ص96.

2ــ المرجع نفسه، ص101.

3ــ المرجع نفسه، ص110.

جسد المرأة في هذه الصورة يمر بعده حالات ففي مرة نجده متعددا ومرة نجده متفردا فهي متقلبة المزاج. وهذا ربما ناتج عن تأثير الهرمونات الأنثوية في جسدها، ففي مرة نجد بحر هائج أو بركان ثائر، ومرة أخرى نجدها هادئة هدؤ البحر في فصل الصيف، يدخله السابح وهو يشعر بالأمان ويخرج منه وهو آمن فلا تؤثر لا بالسلب ولا بالإيجاب.

"جسدي خالقي، وحبي خلاقه.

جسدي فتنتي

جسدي نعمتي"[2]

المرأة تقول بأن جسدها هو الذي خلقها لذا نجدها في بعض المقاطع تقول "سأصلي لجسمي" كونها تعتبره هو إلهها وربما، وأيضا حبها له هو الدي خلقه، ربما لأنها لو لم تحبه لن تحس به وبوجوده، وهو فتنتها لأنها تثير إعجاب الآخرين بها وتجدبهم إليها بإظهار مفاتنها لهم، وهو نعمة لأنها تحقق بهكل شهواتها ورغباتها وأحلامها، وهو نعمة أيضا لأن الآخرين يحسون بها من خلال رؤية جسدها الدي يتحرك بينهم وفي عالمهم الواقعي.

"صوت جرح يجيء ويمضي

أتبدد فيه ويهرب جسمي مني"[3]

فصوت هذا الجرح ربما يكون جرحا في جسدها مرة تنساه ومرة تتذكره وهو يعيش معها، وهذا الجرح قد يكون نتيجة هجر زوجها لها، فأصبحت تحس بجرح ولوعة الفراق ترتعش داخل جسمها، مما يجعلها تنسى جسدها ويهرب منها لعدم إحساسها بوجوده ربما لغياب زوجها عنها كأنها أصبحت رماد نار كانت مستعرة وفجأة إنسكب عليها بحر جعلها تخمد وتموت.

"هذه إمرأة تعشق الأرض ــ ماموسة ومحسوسة،

وتقول: الجسد

ليس إلا جلاء

1ــ المرجع نفسه، ص112.

2ــ المرجع نفسه، ص115.

3ــ المرجع نفسه، ص116.

لخفاء الأبد"[1]

يقول الرجل هنا بأن هذه المرأة تعشق الأرض بما ظهر منها وما خفى وهذا صحيح من ناحية ما فالمرأة تعشق كل ما هو ثمين والأرض عنده شيء ثمين كونها رمز الخصب والنماء، وفي عصر الأساطير كانت الأرض هي الأنثى والسماء هي الرجل فالأرض بمثابة المرأة التي تحمل الأولاد في رحمها فهي تحتضن البذور بداخلها إلى حين خروجها منها وتصير نبتة أو شجرة كبيرة والسماء هي الرجل الذي يسقي هذه الأرض بمائه، ولولا حنوه عليها لما كان منه الماء الذي يغذي الأرض ويرويها وهي بدورها تنقل هذه التغذية منها إلى بذورها، والجسد ليس إلا جلاء لخفاء الابد أي أنه نتيجة أعماله وافعاله سوف يلقى الجزاء الأبدي الذي وعد به فإما مأواه جهنم وبئس المصير، وإما الجنة التي طابت مقاما بأنهارها ونعمها.

1ــ المرجع نفسه، ص117.

المبحث الثاني:

فاعلية الجسد

-فاعلية الجسد:

إنحصرت فاعلية الجسد في القصيدة بين جسد فعالا، وجسد منفعلا، فمرة نراه صاحب سلطة وسيادة ثائر على ما حوله، مناضل من أجل بقائه إثباته وجوده في هذه الحياة، ومرة أخرى عرضت للظلم والقهر والإستبداد، محروم من أبسط حقوق الحياة موصوف بابشع الصفات.

أ) الجسد منفعلا:

في هذه الحالة يبدو الجسد عرضة للظلم والطغيان والحرمان، ومصدر أخطاء الإنسان ومصائبه، ولهذا كثيرا ما يتعرض للإستبداد وجرد من حقوقه في حياته وحتى في موته، حيث لم يعش بكرامة في حياته وكان مهملا مهمشا ولم يحترم في موته، حيث لم يعط له حق الدفن الذي يمنعه من التعفن ويمنع الوحوش والطير عنه وتحفظ كرامته.

"من يراني هنا يتساءل: هذي
صخرة أثرها ستدفن أم
سوف تترك للوحوش والطير؟" [1]

وهنا نجد الجسد بالإضافة إلى تهميشه وإعتباره مجرد صخرة في هذه الحياةن فهو أيضا محروم من حقه في الدفن وسيترك للكائنات الأخرى لتفترس جسده.

وكثيرا ما أعتبر الجسد مجرد كتلة لحم تثقل صاحبها أكثر مما تنفعه، وتشقيه أكثر مما تسعده، لذلك أن صاحبه مضطر لتلبية حاجياته والحفاظ عليه، وعندما لا يفعل ذلك فإنه يصبح عالة عليه وبالتالي يحس معه بالعزلة عن العالم الذي يعيش فيه، وأن نفسه تسكن في صمت داخل جسمه،دون أن تستطيع الخلاص منه:

"أتغلغل في عزلتين تحت جلدين في الصمت،
في نعمة البكاء
وأزحزح هذا الثقيل الفضاء" [2]

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، قصيدة بأصوات متعددة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 2، 2008، ص35.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 23.

ومع كل هذا الحرمان يطرح أدونيس على لسان المرأة مجموعة من الأسئلة، حيث يقول فيها لربما لوحدت مع الطبيعة ومع ما فيها من الصخور وجدران أنسى هذا العذاب وأثبت ذاتي "ألكي نتوحد مع صخرة أو جدارن تقول غد لا غد؟" وهي تنظر أن يأتي الغد بما هو نافعا ومنقذا لها من العذاب الذي تعيشه لأنها رغم ما تعانيه من عذاب وحزن إلا أن هناك أجسادا أخرى تترصدها وتعتبر حزنها وجسدها المكان الآمن الذي تعيش معه في سلام فتضيق بالتالي لها عذاب آخر وحزن آخر لا مفر لها منه:

"غير أن النساء رياحيننا

نترصد أحزانهم، ونمنح أجسادنا إلى كل حزن

حزنهن فراش آمين."[1]

وهذا العذاب الذي يتعرض له الجسد وهذا الظلم والطغيان ليس حديث وإنما هو منذ عصور قديمة إلى درجة أصبحت الحياة تعريفه وليس سرا حيث أصبح متداولا في حديث الناس العامة منهم والخاصة، فالجسد إن لم يتعرض للعذاب عن طريق القتل والتهميش، فإنه عرض للعذاب عن طريق الختان، الذي يصبح فرجة بين الناس الذين يعتبرون كما يقول (أدونيس) "كل مختونة فرجة"

" سأقول ما قيل ما خبرته الحياة وتعرفه الأمثلة

سأكرر ما قيل: قتل

ختن فرج، وقتل

أن يحول فرج إلى فرجة.

تتخاتم فيه الغيوب، وتتهزم الأسئلة."[2]

وهنا نجد أن هذا العذاب غيبي مسلط من السماءن وأن الجسد لا يجد إجابة على الأسئلة التي تدور بداخله حول ما يحدث له.

ومن الأفعال التي يلاقيها الجسد والتي تزيد من تهميشه وإحتقاره هو عدم مقاومة الإنسان لشهواته ورغباته وعدم قدرته على السيطرة والتحكم فيها والرمي به في جحيم هذه الرغبات وإختراق كل القوانين والعادات.

1ــ المرجع نفسه،ص36.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص42.

"اليوم أسلمت جسمي.

لهوى شهواتي."[1]

وهنا نجد الجسد قد فقد السيطرة على نفسه وأصبح فريسة في يد الشهوات والرغبات.

بالإضافة إلى وصفه على أنه مصدر الضلالة والتيهان وأنه مصدر الشهوات والنزوات.

"أ ترى الآن جسمي أن الضلالة منسوبة إليه؟

أن جلدي غوي؟"[2]

وأنه فاقد لماهيته، وأنه أصبح لا يعبر إلا عن غرائزهالفطرية، فتجرد من أنوثته وتجرد من رجولته وانعدمت فيه القيم وأصبح جسدا بالإسم لا بالفعل

"جسمها في مكان

وإسمها يترنح في لا مكان

والأنوثة فيها. تراها

لم تعد إلا لفظ. جسد من كلام، وجنسا

ينتقل في معجم الوحي من آية إلى آية."[3]

وأنه لم يخلق ــ حسبهم ــ إلا يؤدي مهامه الغريزية والفطرية فقط وكأنه حيوان يعيش ليشبع شهواته ورغباته، أو كحقل يحرثون فيه ما يشاؤون، وقت ما يشاؤون، وبالتالي جرد من قيمته وكرامته، وقضي على إنسانية وأصبح يعيش في العذاب.

"زعموا أنني خلقت لكي لا أكون سوى ذلك الإناءلإحتضان ألمي كأنني مجرد حقل وحرث:

جسدي من غثاء وحيض

وحيلتي تجري

مرة، صرخة، مرة مومأة."[4]

1ــ المرجع نفسه، ص59.

2ــ المرجع نفسه، ص62.

3ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 66.

4ــ المرجع نفسه، ص93.

أي أن حياتها بسبب ما يعتقدونه ويفعلونه أصبحت عبارة عن صراخ في صحراء قاحلة وجافة تعيش حالة من الضياع والوحدة ولا تجد من يرد عليها أم يأخذ بيدها وينقذها من هذه الصحراء.

وهكذا أصبح الجسد مسلوب الإرادة ولا سلطة لديه سوى أن يكون جسدا تابعا للآخرين يفعلون فيه ما يشاؤون:

"كيف أقنعت جسمي ألا يكون سوى واحة

يتنزه جسمك فيها، وأقنعت نفسي

أن تكون له حارسا؟" [1]

وفي ضوء كا هذه الصور عن وصف به وعن ما لقيه من ظلم وإستبداد، أصبح الجسد في عزلة عن الآخرين وإذا إقتربوا منه لا يقتربون منه إلا من أجل التعذيب والإهانة، منع حتى من الكلام عنه لأن الكلام عنه ــ حسبهم ــ يؤدي إلى الضلالة ويبعد عن الحقيقة ولهذا لا يحب الكلام عنه ولا يحب الإقتراب منه:

"وهو ذا شرر في الظلام

يتنبأ: لا تقتربوها، إرجموها

أ لكلام عليها يضل الكلام." [2]

ويبقى الجسد يتخبط في معاناته، محروم من حقوقه مجرد من كرامته مسلوبا من إرادته رغم ما يملكه من قدرات وإمكانيات بداخله.

ب) الجسد فاعلا:

ويكون في هذه الحالة صاحب سيادة وسلطة وإرادة، يسعى إلى إبعاد شبح الفناء المخيم على وجوده، ورفع حالة الستعباد والتي يعيش فيها،وذلك من خلال تحويل السكون إلى حركة، والإستسهم إلى مقاومة، لأن حب الحياة وحب البقاء يدعوه إلى ذلك. [3]

ومادام الجسد لديه القدرةوالعقل فإنه يستطيع أن يهدب الإنسان إلى الطريق الصحيح ويستطيع من خلاله معرفة كل شيء حوله دون مساعدة من أحد

أسير على هذي جسمي

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 121.

2ــ المرجع نفسه، ص126.

3ــ غيثاء قادرة: لغة الجسد في أشعار الصعاليك، ص143.

وأرى كا شيء.[1]

وهكذا فإن الذي يستطع أن يهدي الإنسان إلى الطريق الصحيح لن يرضى أن يكون مصدر للفتنة والشهوة مجددا لأنه يميز الخير من الشر والصلح من الطالح ويسمو بقيمته وكرامته على كل الشرور.

كلا

لن أعد فراشي لها.[2]

ونتيجة لهذا الترفع عن الشهوات والرفض للقيود المفروضة عليه والرغبة في التحرر أصبح تمثالا ورمزا للرفض رغم كل الإغراءات التي تحيط به:

مثلها،

صرت تمثال رفض،

وثنا عاشق، وأحسن كأن الصواعق

تأتي وتذهب فيه[3]

ثم يخبرنا أدونيس على لسان المرأة أن هذا الجسد بواسطة طاقة الحب التي في داخله يستطيع التخلص من النفي والنبذ الذي يعاني منه ويحرق كل من يقف في طريقه:

جسدي كون حب

كلما سلكت نازه دربها

قتلت ربها.[4]

وما يحقق له السيادة والسلطة أيضا هو قدرته على أن يكون الدليل الذي يهدي صاحبه إلى طريق المستحيل أي أنه يستطيع أن يفعل أي شيء مهما كان هذا الامر يبو صعبا ومستحيلا وذلك من أجل التخلص من العذاب الذي يعيش فيه:

إنها ترسم الدليل

للطريق إلى المستحيل.[1]

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 17.

2ــ المرجع نفسه، ص33.

3ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 58.

4ــ المرجع نفسه، ص69.

وبذلك سيقطع كل القيود التي تقيده وسيتخلص من سلطة الآخرين عليه، ويتجدد وينتعش مع تجدد الحياة فيه، وسيبتعد عن الطبيعة لأن الطبيعة جسم مظلم كلقبر لما تفرضه من قوانين عليه:

بخلاياك يا ليل، يا جسم هذي الطبيعة،واخلص نفسي من غيبها، وأقطع مابين جسمي وأوهامه. أتشرب إكسير هذي القطيعة. [2]

وعندما يحقق الجسد السيادة لذاته ويتحرر من الظلم والإستبداد، فإنه سوف يتوجه إلى أن يكون موضوع قراءة وإبداع وعلم وتكوين لذاته ويقرأ الشعر بلغته هو بعيدا عن قساوة الطبيعة وظلمها.

سأقول لجسمي: عرج على نخلة، تفيأ،

وإقرأ الشعر في ظلها. [3]

إن الجسد بوصفه الشيء الذي يهدي الكائن إلى الطريق الصحيح والشيء الذي يثبت الكائن به وجوده في الحياة والشيء الذي يدفعه إلى إقتحام العوالم الخفية بغية الإكتشاف والتعلم هو الذي أدى بأدونيس إلى أن يدعو الشعراء من حوله إلى تمجيده والتغني به وخلق لغة خاصة به تثبث سيادته وقدراته.

أكتبوا أيها الشعراء وغنوا

لا تشق الطريق إلى الغيب

إلا بأجسادنا. [4]

ذلك أن الجسد قادر على التعبير عما يحيط بطريقة يندهش لها العقل بواسطة قوانين طبيعته الخاصة. [5]

1ــ المرجع نفسه، ص122.

2ــ المرجع نفسه، ص54.

3ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 57.

4ــ المرجع نفسه، ص29.

5ــ سمية بيدوح: فلسفة الجسد، ص 84.

أ) الجسد المتشكل:

يظهر لنا الجسد عند (أدونيس) كجسد متشكل، وهو باد من خلال مراحل القصيدة وله صورة مختلفة. حيث يظهر كل مرة بحسب ما يريده الصوت الذي يتكلم عنه، فمرة نجد هذا الصوت يمجد الجسد ويسمو به إلى أعلى الدرجات من خلال مدحه وذكر خصاله ومميزاته، وتارة نجده ينزل به إلى أسفل الدركات حيث يجعل منه كمادة منحطة لا قيمة لها ولا فائدة منها، وبين هذا وذاك تنوعت صوره في كامل القصيدة.

وسنحاول من خلال دراستنا أن نتعرض لهذه الصور كما ظهرت ضمن إطار القصيدة ونأتي على ذكرها مع الشرح.

في قول الصوت:

"هذه سيرة إمرأة عبدة وإبنها" [1]

فهنا يكون جسدهذه المرأة هو جسد مستعبد، وما عبوديته إلا دليل على التبعية أو الفقر، فلولا التبعية لما كانت خادمة لغيرها، ولولا الفقر وحاجتها لتأمين لقمة عيشها أيضا لما كانت خادمة، وبخدمتها لغيرها نجدها وجسدها مثله كمثل الحمار الذي يحمل أثقال صاحبه ويسير بها كيفما وجه سواء عند السفر أو عند الترحال للبحث عن العيش والمسكن.

وأيضا يقول الصوت في عبارة أخرى:

"لم يجئ في تعاليمه

أنها حررت" [2]

فهذه المرأة وبالرغم من كونها زوجة نبي وأم لنبي إلا أنها عبدة، ولم تكن هناك لا تعاليم تدل على أنها اعتقت من عبوديتها وصارت حرة بنفسها وبجسدها، بل هي مازالت عبدة لصاحبها الذي يأمرها وهي تلبي له كل طلباته وكأنها مارد ــ عفريت مصباح ــ يحقق كل الأمنيات، فإن قال لها اذهبي تذهب وإن قال لها تعالي تأتي، وهذا الصوت يحط من قيمة الجسد ولا يبالي به رغم كونه يحتويه ويضمه داخله.

"إنها إمرأة: مرة قيدها طفلها. مرار

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمراة، ص7.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص7.

قيدها زوجها."[1]

فالمرأة هنا مقيدة بطفلهاربما أنها لا تستطيع أن تتخلى عنه كونه جزء منها وهو فلذة كبدها، فنحن مثلا إذا تعلقنا بطفل صغير لا نستطيع التخلي عنه بل نريده أن يكون أمامنا كل النهار، فما بالك أمه وهي التي ولدته وأنجبته؟! كذلك زوجها يمثل قيدا لها كونها أيضا لن تستطيع أن تهجره، فكيف وهو نصفها الثاني الذي يكملها، وهنا في هذه الصورة نجدها وفية وحنونة على ابنها وطفلها الصغير.

"ليس ما سيقال بيانا ولا مسرحا.

إنه إمرأة حيةــ ميتة."[2]

تراه في قوله هذا ماذا يقصد بحيةــ ميتة، ربما حية حين تجد حياتها وتحقق كل أحلامها وشهواتها وأهدافها، وذلك لا يكون إلا إذا خالفت تعاليم الدين والإسلام.

وهي ميتة إذا كانت فقط تعيش لغيرها ولذلك إن لم تحقق شيئا مما كان في خاطرها؛ أي إذا كانت ملتزمة بتعاليم الإسلام وخاضعة لها، ولكن من الأفضل لها أن تكون ميتة على أن حية تعيش في المعاصي والكبائر.

"إنها إمرأة

نصفها رحم وجماع

والبقية شر"[3]

في قوله: نصفها رحم وجماع، هنا المرأة هي دليل الخصوبة، ومنبع الإستمرار والبقاء، فمن دون المرأة لن تكون هناك حياة، ولن يكون في الحياة جديد إذ تبقى كما هي، بل تسوء حالتها، وربما ينمحي الوجود من وجه الأرض.

أما في قوله: "والبقية شر،" هو هنا يدلل عليها في بعض الحالات، والفرد يجب أن يخاف من هذا الشر، وهذه الفكرة تجانب الصواب نوعا ما، وأبرز مثال على ذلك نجده في زوجة الأب اتجاه ابن زوجها، فنحن نسمع عنهما قصصا تصدم العقل ويكاد يصير مخدرا عن التصديق. فكثيرا ما سمعنا عن امراة حرقت ابن زوجها وشوهته، وأخرى

1ــ المرجع نفسه، ص8.

2ــ المرجع نفسه، ص9.

3ــ المرجع نفسه، ص13.

قتلته، والثالثة حرضت ضده والده حتى طرده من البيت وغيرهن الكثير، وهذه الصور هنا تدل على كيد النساء وذهائهن ومكرهن في تدبير المكائد والمصائد.

"غير أن النساء رياحيننا

نترصد أحزانهن، ونمنح أجسادنا

إلى كل حزن

حزنهن فراش أمين"[1]

في هذا التعبير يعبر عن المرأة بأجمل العبارات إذ يقول (رياحيننا) أي وكأنهن أزهار تزين الحياة بجمالهن وبعطورهن يترصدون أحزانهن ربما لمواساتهن، كون المرأة بطبيعتها حساسة وسريعة التأثر بالمواقف التي تتعرض لها أو تراها، وإن كانت عنها، وهو هنا بصدد مدح المرأة وذكر صفاتها.

"شمس هذا النهار غرابية.

الأشعة فيها عكاكيز مكسورة.

صورة الأرض نعش.

والسماوات جوفاء، أسنانها

تتساقط منخورة.

شمس هذا النهار وداعية."[2]

والسؤال المطروح هنا، مالذي يقصد بالشمس، هل هي المرأة؟ فغالبا ما توصف المرأة ذات الطلعة البهية والجميلة بالشمس، إذ يقال فلانة كالشمس، وماذا يقصد بغرابية؟ ربما لأنها حزينة ومن شدة الحزن تحول لون وجهها المضيء إلى اللون الأسود، وربما لأنها صارت كبيرة في السن لأنه يقول: الأشعة فيها عكاكيز مكسورة، ونحن نعرف أن كبار السن يعتمدون في سيرهم على العكاز، خوفا من التلاشي والسقوط، فأصبح هذا العكاز بمثابة شعاع فيها فبالإضافة إلى أطرافها ــ اليدين القدمين ــ أضيف العكاز

1ــ المرجع نفسه، ص36.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص64.

كطرف، وأصبحت هذه الأطراف وكأنها أشعة تحيط بالمرأة وهي كالشمس. وهذا يظهر بشكل واضح خاصة في ظلها.

أما عن قوله: "صورة الأرض نعش"، فكما أوردنا سابقا بأن الأرض في الأساطير كانت تمثل الأنثى، وهي هنا بمثابة النعش، والنعش يرمز إلى الموت إذ أصبحت هذه الأرض تشير إلى الموت، وهذا ربما من خلال تعاليمها وملامحها ــ لأنها كبرت في السن ــ ونحن نعرف أن كبار السن تتساقط أسنانهم ربما لنقص الكالسيوم في أجسامهم حسب التفسير العلمي لها وربما بسبب التسوس في قوله: "منخوزة".

أما بالنسبة لقوله: "شمس هذا النهار وادعية". فالوداع بالنسبة للشمس هو الغروب، والغروب بالنسبة للشخص هو الموت، يا ترى هل ماتت هذه الشمس التي كانت تنير درب الإنسان وتوجهه وتحنو عليه؟ هل ماتت هذه الشمس التي قضت معه سنين عمرها وكانت رفيقة دربه في كل خطوة؟ هل ماتت هذه الشمس التي كانت كمعادل موضوعي للمرأة؟ والتي نابت عنها وعبرت عن تفاصيل موجودة في الحياة والكون.

وفي صورة أخرى يظهر الجسد متوجها في كل اتجاه، ويفعل كل شيء من أجل ما يريد ومن أجل الحب والعيش بسلام إلى درجة أنه مستعد إلى تقديم هذا "الحب كقربان تيه إلى الله"[1]؛ أي مستعد إلى التضحية بكل شيء بل أن يعيش مطمئن مرتاح البال.

أما قول الشاعر:

"وأصغي
لخلاياه ترقص مسحورة. وتوشوش في
غيطة إفتتان
أ لبنات سطور
والثرى دفتر
وأنا حبر هذا المكان."[2]

فهذا دليل على أن الجسد في قمة السعادة والفرح إلى درجة يشعر فيها أن أدق تفاصيل جسده ترقص كأنها مسحورة وفي غير أحوالها وتتكلم بصوت منخفض وهي

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص 77.

2ــ المرجع نفسه، ص85.

سعيدة وجميلة قائلة أن كل ما حولها من كائنات هي التي تخط عليها ما تريد وتكتب ما تشاء.

أما عندما يقول:

"أشتهي، أتعذب، أرضي، وأرفضما كنته

أتخبط. هل تنتهي طريقي؟ ومنفاي؟ أقصى وأعمق مما يخيل." [1]

فهذا يعني أن الجسد يشتهي ويحلم أحيانا، ويتعذب ويتألم أحيانا أخرى فنجده راضيا بما لديه مرة، رفضا ما كان عليه مرة متخبط، متقلبا مرات عديدة، متسائلا عما إذا كان الطريق الذي سلكه ويمشي عليه منتهيا أم لا، ذلك أن هذا الطريق كالمنفى الذي لا يوجد أحد فيه سواه، ولذلك أصبح يحسه أنه بعيدا وطويلا، ولا يستطيع أحد أن يتخيله وأن يتحمل العيش فيه.

"هذه إمرأة

تعشق الحر، لكن

هل تفيء إلى عبدة في نومها؟" [2]

وهذا يعني أن الإنسان من طبيعته العيش حرا طليقا دون قيد أو جبر من أحد، إجتماعي لا يحب إلا العيش وسط الجماعة، وينفر من النفي والسجن ويعشق الحرية، والأشخاص الأحرار الذين يكرسون أعمالهم وحياتهم لخدمة الحرية والحفاظ عليها وإعطائها للناس كافة.

لكن مع هذه الطبيعة والفطرة في الإنسان يتساءل الشاعر هل سيتجه الإنسان فعلا إلى العبيد ومساعدتهم ومساندتهم ويكون معهم في تحقيق أحلا مهم وفي طلب راحتهم وسكينتهم.

أما في قول آخر:

"هذه المرأة تعشق الأرض ــ ملموسها ومحسوسها،

وتقول: الجسد

ليس إلا جلاء

1ــ المرجع نفسه، ص73.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص 76.

لخفاء الأبد."[1]

فهذا يعني أن الإنسان يحب الأرض حتى الجنون ذلك أنه خلق منها ويعيش فيها ومع كل ما تحمل على ظهرها سواء كانت هذه الأشياء ملموسة ومادية كالأشجار والأنهار أو أشياء محسوسة كالهواء والحرارة وسيدفن تحت ترابها وتحفظ جثته فيها، لأن الجسد هو الشيء الظاهر الذي سوف يختفي إلى الأبد ويعود من حيث جاء.

"وهم إنس تراها؟ أم تراها نبوة جن؟

أتراها رحيل

يحسب الأرض صيدا

ويقول الألوهة قوس وسهم؟"[2]

وهذا يعني أن الجسد في صورة هلامية غير مفهومة الشكل وغير محدد الماهية فهو غير واضح المعالم، هل هو من جنس الإنس أم هو مجرد صوت جن؟ أم هو عبارة عن شيء آخر رحل عن الدنيا ووقع في شباك الأرض ودفن فيها بسبب قوة غيبية لا تخطئ فريستها إذا أرادت أن تقضي عليها؟

أما عن قوله:

"إنها وإبنها

أسيران في ظلمات، بداياتها لفظة،

ونهاياتها لفظة."[3]

بمعنى أن الجسد يعود من حيث أتى إلى التراب الذي خلق منه، حيث يأسر في ظلماتها إلى الأبد فكما بدأ بلفظة سوف ينتهي بلفظة أي أن الجسد عند ولادته بدأ حياته بلفظة وهي الصرخة التي تعلن عن قدومه إلى الدنيا وعند موته تنتهي حياته مع آخر كلمة متصاعدة مع أنفاسه الأخيرة في هذه الدنيا لتعلن عن وفاته ورحيله إلى ظلمات الأرض.

"هذه المرأة ترضع الوقت والناس أحوالها،

إنها ترسم الدليل

للطريق إلى المستحيل."[1]

1ــ المرجع نفسه، ص117.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسدامرأة، ص99.

3ــ المرجع نفسه، ص127.

وهنا نجد المرأة تحكي للزمن والناس بكل عناية واهتمام وبكل حب وحنان، ماحدث لها وما تعيشه خلال حياتها، كأنها تحاول أن تعطي لهم صورة ودليلا على الأحداث التي عاشها وعن الظروف التي مرت بها.

ويقول أيضا:

"لا، لست أهذي، ولكنني

لن أكون الفريسة: أصغي، وأمحو

وجه إيزيس والنيران."[2]

بما يعني أنها ليست كاذبة ولا تتخيل أشياء غير موجودة، كمن أصابته حمى وأصبح يهذي ولا يعلم ما يقول، وإنما هي في كامل قوتها وعقلها وهي تعلم ما تقوله، وأنها ترفض أن تكون فريسة في يد الظروف التي تحيط بها مكتوفة الأيدي مستسلمة، تسمع وتنتظر الرحمة والفرج من العدم أو من أشخاص ماتوا وأصبحوا أساطير فقط، ذلك أن كرامة الجسد وما فيه من قدرات وإمكانيات لا تسمح له بذلك، أي لا تسمح له بالإستسلام والضعف أمام ما يواجه من مشاكل خلال الحياة.

"وأنسى

وتدار علي كؤوس بلا نشوة"[3]

وهذا يعني أنها لن تنسى ما حدث معها ولن تعيش ما بقي من أيام حياتها كما في السابق دون فرح ودون سعادة وسرور.

كما ورد في القصيدة قوله:

"هذه لغة إمرأة نومت

لم تقم بعد من نومها."[4]

وهنا المرأة وكأنها لغة يكتب بها، وتعبر عند كل فرد عما يريده ولكنها نومت، أي أنها كانت لها فائدة قبل نومها وبعد نومها لم تعد لها فائدة ترجى منها، وبما أنها غائبة فإن

1ــ المرجع نفسه، ص122.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص124.

3ــ المرجع نفسه، ص124.

4ــ المرجع نفسه، ص78.

الفائدة منها أيضا غائبة، هل هذه اللغة هي لغة الجسد؟ حيث أنها كانت موجودة لكن لم تخضع للدراسة قبلا، واليوم هناك بعض الدارسين لكن هذا غير كاف فحتى تعم فائدة وجودها لابد أن تصير هذه اللغة معروفة لدى الجميع ومقروءة أيضا فنجد القليل فقط من يعرف هذه اللغة وبالتالي هي هنا لم تقم بعد من نومها ولم تقم بذاتها وبوجودها كوجود مستقل.

"أ لسماء نساء

يتجمعن في كل يوم."[1]

هل يقصد هنا السماء بعينها، لكن في قوله يتجمعن في كل يوم تتبادر إلى ذهننا أنها ما تحتويه من نجوم، فالنجوم تتجمع كل يوم في الليل وتظهر للناظرين متلألأة.

أما في قوله:

"أشهد الآن أن الطبيعة أول ما أنتهى إليه،

وآخر ما أنتهي إليه."[2]

فإن المرأة تقر بأنها جاءت من الطبيعة وهي أمها، فهي خلقت من الطين مهما كان لونها، ــ أبيض، أحمر، أسود ــ والطين مأواه ومقره هي الطبيعة أما آخر ما أنتمي إليه ربما تقصد أنها حين تموت سوف تكون الأرض هي بيتها، أرضها وسماءها، وأن ما أوصلها إلى قول هذا الكلام هو يأسها من الحياة، حيث أنها لم تجد في هذه الدنيا من تنتمي إليه وتعتمد عليه غير الطبيعة، حيث وجدت الخير في الأشجار والجبال ولم تجده في البشر.

"هو ذا شرر في الظلام

يتنبأ: لا تقربوها، أرجموها.

أ لكلام عليها يظل الكلام."[3]

الشرر في الظلام، هل المقصود منه البرق في ليل الشتاء العاصف؟ أم هو الضوء الذي ينير الطريق من حين لحين؟ ولكن هذا الضوء كان بمثابة عراف يتنبأ بأن لا يقترب أحد من المرأة وكأنها شيطان لزم رجمها، الشيطان ملعون من عند الله وهو يتعرض

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة ، ص102.

2ــ المرجع نفسه، ص123.

3ــ المرجع نفسه، ص126.

للرجم من خلال النجوم التي تتساقط عليه كشهب حارقة (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجو ما للشياطين.) [1]

وفي موسم الحج عند رمي الجمرات.

ب)الجسد الأسطوري:

إذا أوردنا سؤالا لشخص ما بغض النظر عن كونه متعلما أو لا، وقلنا له ماهي الأسطورة؟ فإنه حتما سيجيب بإجابة سريعة أنها خرافات ألفها القدماء. لكننا نقول أن الإجابة لا تكون هكذا، فالخرافة لها تعريفها، وكذا الأسطورة لها تعريفها الخاص بها.

فالأسطورة عرفت على أنها تعتمد على أبطال يكونون من الآلهة أو أنصاف الآلهة، ثم إن ظهور البشر هومجرد عنصر مكمل وبالتالي فالبشر فيها هم ثانويون وتتحكم فيها "القوى الغيبية التي تسيرها الآلهة، وتتحكم فيها الطقوس والكهنة والعرافون والسحرة. وهي تأتي على ألسنة الرواة تقربا أو استغاثة أو طلبا للعون من الآلهة ورجال الدين. وهي في مجملها تقرب للآلهة وللقوى الغيبية وإقرار بضعف الإنسان وضعفه أمام قوة الآلهة وإرادتها." [2] فالقوى الغيبية هنا مثلا نحو القدرة على إحياء الموتى ونذكر على سبيل التمثيل جسدا قتل صاحبه وقطع إربا وتناثرت في الكون، فهي قادرة على جمع شتاته، وضمه ليصير جسدا واحدا كما كان وإعادته إلى الحياة، كذلك قدرتها على التحكم في الرياح والعواصف، بالإضافة إلى التحكم في أقدار البشروأعمارهم.

ومن هذه الآلهة نذكر الإله أبولو وهو إله الشمس والوحي والقوة والموسيقى والشعر، الإله أوتيه وهو إله العواصف والرياح الهوجاء، والإله تانتال الذي منحه الإله زوس والده الجاه والمجد والسلطان، كما نجد الإلهة أثينا إلهة الحكمة، وأفروديت إلهة الحب والجمال، بالإضافة إلى هيلانة أجمل فتاة في بلا د الإغريق. [3]

أما بخصوص الطقوس، فإننا نجد بعضهم يقدمون أبناءهم وبناتهم مثلا كقرابين لهذه الآلهة حتى ترضى عنهم وتوفقهم بمساعدتهم على التغلب على الصعاب وقهر الأعداء ليحققوا هدفهم، وما هذا القرابين إلا دليلا قاطعا على ضعف وعدم القدرة على المواجهة

1ــ سورة الملك، الآية5.

2ــ بنظر: صالح لمباركة: الآداب الأجنبية القديمة والأروبية، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، دط، 2007، ص23.

3ــ ينظر: المرجع نفسه، ص23.

دون الآلهة ومساعدتها، فالإنسان يعتقد أنها مثله تأكل وتشرب وتحس وهو يأمل في إحساسها به ومساعدتها له كونها قد تواجه يوما ما يحدث معه,

وقد كان الجسد في الأساطير جسدا استثنائيا، غير الجسد الذي نعرفه وحقا يستحق صفة ــ أسطوري ــ كونه يدل ويرمز إلى العصر الذي يعيش فيه، يمثله بكل معالمه، كونه يحتاج إلى القوة والصبر والذكاء، فمثلا في الرجل نجده جسدا قويا بارز العضلات وضخما له طول وعرض كما يقال، وكأنه جسد عفريت وليس جسد بشري ذلك حتى يستطيع مواجهة أعدائه في الحروب والغارات، وذكاؤه حتى يستطيع التخطيط والخوض ضد أعدائه. في حين نجده عند المرأة جسدا مثاليا له قدر من الجمال والفتنة ونستخلص هذا من أسطورة أوديس حيث كانت زوجته (بينيلوب)جميلة إلى درجة أن كل الوزراء والأمراء تقدموا لخطبتها بعد ما سمعوا بوفاة زوجها أوديس في حرب طروادة ودليلهم على ذلك أنه لم يعد مع من عادوا منها، وقد كانت (بينيلوب) أيضا ذكية، واستطاعت أن تدفع خطابها إلى الإنتظار، الذي كانت تأمل في وقته بعودة زوجها (أوديس) ولم تفقد الأمل من عودته، وطلبت من خطابها أن يصبروا عليها حتى تحيك كفنا لزوجها المتوفي، وكانت تحيك في النهار وتفكه في الليل، وفي الأخير أخضعتهم لمسابقة بقوس (أوديس) مع علمها أنه لا أحد سيصيب الهدف، وما هذا إلا دليل على ذكاءها، ودهاءها، ومكرها وكذلك وفائها وإخلاصها لزوجها حتى بعد ما ظنت بأنه مات، كذلك تهافت الملوك والأمراء على خطبتها لأجل الزواج منها دليل على جمالها وربما جمال لم يكن له مثيل، والحديث سواء بالنسبة لجسد المرأة أو جسد الرجل في جميع الأساطير. [1]

وفي قصيدتنا "تاريخ يتمزق في جسد امرأة"، نجد أن شاعرنا (أدونيس) قد وظف بعض أسماء الآلهة التي استوحاها من الأساطير، وذلك حتى يجعل قصيدته غنية وثرية بالمفاهيم ذات الدلالات القوية والموحية، ويحث القارئ والباحث على البحث والتفكير. ومن هذه الأسماء نجد إيزيس وأرتميس والتي هي أسماء للآلهة المؤنثة وله فيها مدلولات.

في قول المرأة:

"كم تمنيت لو أنني أرتميس:

1ــ ينظر: صالح لمباركية: الأداب الأجنبية القديمة والأروبية، ص

أخرج القمر الشيخ من تحت نهدي، طفلا." [1]

فهذه المرأة هنا تتمنى لو أنها تكون كأرتميس وهي إلهة من الآلهة عند الإغريق وبالضبط إلهة الصيد والبرية، كما أنها تحمي الأطفال، وهي أيضا إلهة الإنجاب والعذرية والخصوبة، وبما أنها إلهة القوة هي أيضا إلهة الأنوثة، وهي تتمنى لو تكون لها قوة كقوة أرتميس لتساعدها على إعادة الشيخ إلى طفولته، وهذا ربما من أجل أن أن تخلصه من معاناة التي يعيشها يوميا مع عمره الكبير، وتعيده إلى الطفولة حتى يكون له عمر جديد ويستطيع الإعتماد على نفسه أيضا.

وأيضا في قولها:

"جسدي يتفتح. عطري

يتضوع أعلى وأبعد من أن تحيط بأسراره." [2]

هنا كما قلنا سابقا، بقولها "يتفتح وعطري" ونحن نعرف أن التفتح والعطر هما صفتان للأزهار نلاحظ أنه يشير إلى أسطورة (نرسيس) السابقة الذكر والتي نتجت عنها زهرة النرجس التي ترمز إلى الأنانية وحب الذات، والمرأة هنا بصدد الإفتخار بنفسها.

وأيضا نجد قولها:

".... أوراقها تتهامس

تتهامس: إيزيس تحنو عليك

وأنا رمز إيزيس بين يديك." [3]

هنا في قولها هذا، وظف أدونيس إسم الإلهة (إيزيس) والتي وردت في أسطورة (أوزوزيس)، و(إيزيس) هذه هي ربة القمر و الأمومة لدى القدماء المصريين وهي زوجة وأخت (أوزوزيس). والتي كانت مخلصة لزوجها بعد موته، كما كانت حنونة على ابنها الذي أنجبته من زوجها بالسحر بعدما أعادته إلى الحياة حين قتله أخوه ست الذي غار منه وخطف منه العرش، ولما كبر إبنها ساعدته على استعادة عرش أبيه، وكان اسم ابنها (حورس) ــ وإيزيس هي ربة القمر و الأمومة ــ وهذا دليل على أن المرأة هي من تربي وهي من تتعب وهي الحصن والسند في الآن ذاته و(إيزيس) يرمز لها بإمرأة على حاجب

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 15.

2ــ المرجع نفسه، ص69.

3ــ المرجع نفسه، ص84.

جبين القمر، كما مثلت وهي تحمل طفلها على حجرها وترضعه وتهتم به ومنها استوحى المسيحيون صورتها لتصوير مريم العذراء وابنها يسوع. [1]

"من يقول تخليت عن أرتميس وإيزيس؟ شمسي

منهما، بهما، فيهما."[2]

تشير المرأة هنا إلى أنها لم تتخل عن الآلهة فهي تستمد كل شيء منهما، وهنا قد نجد دليلا على أنه لا فرق بين هذه المرأة والآلهة المذكورة كونها تتشبه بهما لدرجة كبيرة، وهذا نجده في قولها: "منهما، بهما، فيهما." مما يدل على أنها تأخذ كل شيء منهما القوة والحنان والأمومة...

أماعن قولها:

"أ تعرف إيزيس، أم تعرف اللات؟" [3]

(اللات) هنا أيضا هي آلهة من الآلهة التي عبدت وفي قول المرأة ــ أ تعرف ــ نجدها تتساءل عن مقدرة الآلهة على المعرفة، قد تظن هنا أنها تتساوى معها في المعرفة كوننا أشرنا سابقا أنها تأكل وتشرب مثلها مثل البشر، فربما ظنتها محدودة المعرفة مثلها قد تكون عارفة وقد لا تكون كذلك، ولكننا هنا نعلم أن الهم يعرف ويحيط بكل شيء وربما تكون الآلهة كما يعتقدون هكذا كونها تتصف بصفة الألوهية.

وفي قول الرجل:

"ويقول الألوهة قوس وسهم؟" [4]

هو هنا يعبر عن الألوهة بصورة (أرتميس) التي كان يرمز لها بالقوس والسهام ربما لأنها إلهة الصيد ووظيفتها هي الطواف في البراري والأدغال، ويقول أن المرأة تحسب الأرض صيدا وهو هنا يشبهها بأرتميس، وقد يكون هذا التشبيه لأنها تدافع عن كل ما تملكه بكل قوة، وقوتها هنا ربما تكمن في قوسها وسهامها التي تسدد بهما نحو هدفها وتصيبه وتوقعه فريسة مهما كانت قوته.

وفي قول المرأة:

1ــ بنظر : ويكبيديا الموسوعة الحرة.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 91.

3ــ المرجع نفسه، ص95.

4ــ المرجع نفسه، ص99.

".....وأسامر إيزيس ــ سوداء، بيضاء ــ بيتا
لجميع المعاني وأما
لجميع الصور."[1]

فمن المعروف أن السمر هو حديث الليل، ودليل على أنها تبيت الليل ساهرة، تراهاهنا تفكر بزوجها أم أنها ساهرة تحرص ابنها وصغيرها من ما قد يحدث له، لكن ماذا تقصد هنا بسوداء بيضاء؟ هل تقصد بها الليل والنهار أم الفرح والحزن ربما تقصد أنها تسامرها وتكون مثلها في كل الأحوال مهما كانت، وتكون حاملة لكل المعاني في ذهنها والصور في قلبها.

" كي نعود لإيزيس في عريها
ونخط لغات السماء."[2]

هنا تريد العودة لإيزيس في مكانها وتنزل الوحي مثلما أرادته أن يكون كونها ستذهب إلى الآلهة، وبعودتها هذه ربما تقصد أنها تفضل الموت على الحياة التي تحياها هي وابنها ذليلين وهي لا تستطيع تحقيق ما تصبو إليه في الحياة الدنيا وتريد الذهاب إلى الآخرة لتحققها.

ج)الجسد الصوفي:

يعيش الصوفي حالة من الزهد والتقشف فيمنع عن جسده كل ملذات الحياة ويقهره بالعبادة والطاعة ويمنع عنه ميله الطبيعي للراحة، وينسى الدنيا من حوله وينشغل في تعبداته وتأملاته، حتى أنه ينسى أصدقائه وينسى الحب الذي كان يجمعهم، وينسى حتى أهله ويصبح كأنه غريب في بيته:

"لا صداقة، لا حب، جسم غريب
بين زوجي وبيني."[3]

وعندما يبدأ الصوفي في تأملاته فإنه يعيش حالة خاصة حيث ينتقل بفعل الخيال إلى العالم الآخر الذي يعيش فيه "بما ليس فيه" "وما ليس منه" [1] أشياء غير مادية ولا مرئية

1ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة ، ص 106.

2ــ المرجع نفسه، ص 119.

3ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة ، ص 15.

حدسية يستشعرها الصوفي فقط ويعبر عنها في أدبه، وفي هذه الحالة يصبح الصوفي غريبا عن نفسه وعن من حوله لأنه اعتزل بجسده ما يحيط به، وبالتالي لايستطيع التعبير عما في داخله ولا يستطيع الإجابة عن التساؤلات التي تدور داخله:

"غربتي بين نفسي ونفسي

وسؤالي عني لا جواب له" [2]

إلى درجة أنه يشعر أن هناك جسدا آخر حل في جسده وأصبح يتحرك داخله، ولم يعد متأكدا إذا كان هو نفسه أم هناك شخص آخر معه:

"جسد آخر يتحرك داخل جسمي

لم أعد أتيقن أني أنا." [3]

وهذا راجع إلى شدة انغماسه في الحالة التي يعيشها والتي سلم فيها جسده وروحه لها دون شعور منه.

يريد بواسطة الحب والألم الذي يستشعره الوصول إلى الحقيقة وإلى الحضرة الإلهية:

"هكذا أيها الحب أسلمت صوتي إليك

أعطيني، في طريقي إلى ذروات جراحي يديك." [4]

همه في ذلك أن يملأ نور الحب صوره ويضيئ له الطريق أمامه ويتخلى عن كل ملذات الحياة وينشغل في التعبد فقط لأنه كما يقال "الصوفي من صفا قلبه لله" [5] أي يجب على الصوفي أن يضع حب الله أمامه غاية للوصول إليها حتى يقدف الله النور في قلبه وصدره:

"همي الآن أن أشعل الضوء في داخلي." [6]

1ــ المرجع نفسه، ص15.

2ــ المرجع نفسه، ص15.

3ــ المرجع نفسه، ص15.

4ــ المرجع نفسه، ص38.

5ــ خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي، ص 102.

6ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة، ص 95.

وعندما يصل الصوفي إلى هذه الدرجة أي درجة الزهد وصفاء القلب تجاه الله، فإنه يصبح يحس أن جسده "يتعدد في لحظة يتفرد في لحظة."[1]

أي أن الصوفي دائم التعبد والتأمل وبالتالي يشعر أحيانا أن جسده صار متحدا مع أجساد أخرى وأنه لم يصبح وحده، وعندما تزول عنه حالة السكر تلك فإنه يرجع إلى ما كان عليه، أي يشعر بأن جسده وحده، وذلك عندما سكنت روحه وعادت إلى ما كانت عليه، بعدما كانت تسبح في ملكوت السماوات والأرض، وتتأمل في الكون وفيما يحتوي عليه من بحيرات ومنارات وغابات ومضايق مطلقا زفير الحب والشوق للقاء الأبدي:

"وأطلق الآن هذا الزفير."[2]

كأنه بتأملاته هذه يريد شق الطريق إلى المستحيل وإلى الغيب وما وراء الطبيعة "للطريق إلى المستحيل."[3]

وتصبح كل حواسه وأعضائه لغة معبرة عما يعيشه ويحس به في تلك الحالة:

"سألاقيه: ذوقي وشمي ولمسي،

لغة في الهواء."[4]

ليتجرد من كل شهواته وفتنه صافي الذهن والبال متأملا في السماء مع حلول كل مساء مستقر في مكانه وكأنه في مكة معتكفا:

"السماء استقر،

وها هو يغفو

بلا فتنة

وبلا شهوة."[5]

وعندما ينغمس في تأملاته في الكون والطبيعة يشعر كأن الكون من حوله عبارة عن دفاتر وسطور وأنه بجسده يستطيع أن يملأ هذه السطور وهذه الدفاتر بكلماته ولغته، وأنه هو الذي يكتب ما حوله من أحداث:

1ــ المرجع نفسه، ص112.

2ــ المرجع نفسه، ص122.

3ــ المرجع نفسه، ص27.

4ــ المرجع نفسه، ص32.

5ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة ، ص85.

"أ لنبات سطور

والثرى دفتر

وأنا حبر هذا المكان."

ويبدأ في ترديد كلمات لم يقلها أحد من قبل، وفي أي حال من الأحوال، لأن التجربة التي يعيشهاالصوفي في حالة استثنائية وفريدة من نوعها إنها تجربة الواقعي مع المتخيل والمجرد مع الحسي، فالصوفي ينتقل من الواقع إلى اللاواقع بخياله ومخياله، وينتقل من المجرد إلى الحسي عندما ينسلخ من الواقع ويترك كل شيء ورائه ويعيش بجسده وحواسه فقط في ذلك العالم:

"وأردد في اللحظات الكلام الذي لم يقله

الهواء ليأس الشجر." [1]

وهكذا ينتقل التصوف من مجرد عبادات وتأملات إلى الأدب والشعر والتعبير عما يعيشه الصوفي خلال تلك التأملات شعرا ونثرا ويحن إلى الشعر كتابة واستماعا لأن الشعر لغة تعبيرية مميزة يستطيع من خلالها الشاعر أن يفصل بين الشيء واسمه ويخلط بذلك قواعد اللغة والكلام:

"كم أحن إلى الشعر، وأصغي إليه

وأرى كيف يفصل بين المسمى وأسمائه

وتزلزل أرض الكلام" [2]

وهكذا يكون الصوفي بواسطة جسده قد عبر عن تجربته الحسية بطريقة فنية وإبداعية، واستطاع من خلال جسده أن يدخل لغة جديدة للأدب والفن.

1ــ المرجع نفسه، ص107.

2ــ أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد إمرأة ، ص113.

المبحث الرابع:

الجسد والكتابة

IV) الجسد والكتابة:

كل شيء في هذا الكون مرتبط بالآخر عن طريق النكاح، الذي يعتبر قانون الطبيعة لتستمر الحياة وتتكاثر الكائنات. والأمر نفسه مع الكتابة والجسد حيث أن الجسد عندما يريد أن يكتب نفسه فإن اليد تحمل القلم وعن طريق المزاوجة بين اللوح والقلم تعطي لنا كتابة تخط بحبر القلم وتعبر عما يعيشه الجسد بلغته الخاصة، وهذا ما يراه "إبن عربي" حيث يعتبر النكاح سار في الوجود وأن العلاقة بين الموجودات تؤول بالنكاح، وأن الكتابة تولد بالتماس بين القلم واللوح بوصفه فعلا جنسيا وفي هذا السياق يقول:" فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي معقول وأثر حسي مشهود ، ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا، وكان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في أجسامهم" 1، أي عن طريق العلاقة بين اللوح والقلم والتي هي علاقة معنوية أنتجت لنا أثر مشهود بالعين المجردة وهي الحروف المكتوبة والتي روحها هي المعاني المودعة فيها، حيث تكون المعاني بالنسبة للحروف بمثابة الروح بالنسبة للأجساد أي إذا اختفت الروح انعدمت الحياة، فالكلمات التي تفقد معانيها تعد بلا روح.

أما (أدونيس) فيتخيل الفعل الجنسي بوصفه كتابة بالأعضاء[2]؛ أي أن الجسد هو الذي يترجم هذا الفعل ويحوله إلى حروف مجتمعة لتشكل لنا الكتابة، يقرأ فيها الجسد حروف الجسد الآخر من خلال التماس الجسد بالجسد والتداخل بينهما لإنتاج لغة ثانية تخط الشبق واللذة بالحروف[3]؛ أي عن طريق العلاقة بين الأجساد تنتج لغة ثنائية معبرة عن العلاقة بين الجسدين دون حواجز اللغة الأولى ومحدوديتها إلى لغة تكون فيها المتعة مكثفة والكتابة قريبة من الجسد لتعبر عنه، وهكذا تختار الذات الكاتبة أن تكون في الوسط بين لغة أولى تكون محدودة ومحكومة بقوانين العقل، ولغة ثانية تنطلق من الأولى لكنها تسعى

1ــ خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي، ص 177.

2- المرجع نفسه، ص 177.

3- المرجع نفسه، ص 178.

إلى استعادة الفعل الجنسي كتابة [1]؛ أي تسعى إلى التقاط معيشة الجسد من الأحوال النفسية والجنسية وتعبير عنها بلغة الأعضاء عن طريق الخيال، لأن الخيال كما يقول (ابن عربي) العقد الذي يربط بين الأشياء المعنوية والأشياء المحسوسة. [2] ولأن صوت الذات المبدعة يخرج من الأعماق فإن وجع الكلمات هو في وجع هذا الجسد وفي أشواقه الدفينة المكبوتة وكأن الجسد هو الذي يتكلم وليس المبدع هو الذي يتكلم [3]، لذلك أن اللغة التي تخرج من الجسد وتعبر عنه تكون صادقة ومعبرة فإذا تكلمت اللغة فإن الجسد هو الذي يتكلم.

وإذا استوعبت الكتابة جسدا، تحل فيه، وتحفر مساماتها، وتفعل فعلها فهي تترك ما يدل عليها داخل ذلك الجسد من أجل أن تحفظ من الضياع ومن أجل الإستمرار وهكذا تكون الكتابة فاعل يتعدد بتعدد الأجساد التي تحل فيها، فإما تكون خلق مستمر وإما تكون خلق متخلق حسب الجسد الذي تحل فيه [4]؛ أي إما تكون حية على الدوام لحياة الجسد واتجاهه نحو الإبداع أو متخلف يموت بموت الجسد والكتابة إذ تطلب جسدا من الأجساد فإنها تترك علامة تدل على مقدار متعتها فيه ولولا الأثر الذي تتركه الكتابة في الجسد لما انفتح جسد على كتابة ولما تناسلت الأنظمة بعضها من بعض [5]؛ أي أن اللغة التي تحل في أي جسد فإنها تريد أن تبقى دليل على مرورها من ذلك الجسد من جهة وأن تتمتع في ذلك الجسد من جهة أخرى وإلا لما تكاثرت اللغة بعضها من بعض، أي أن اللغة التي لا تترك أثرا ورائها، فإن اللغة التي تأتي بعدها لا تأخذ منها ولا تضيف عليها ما عندها، وهكذا لا تتعدى المعاني والدلالات، لأن مجموعة الدوال التي تمثل اللغة تعتبر امتدادات من الجسد إلى الذات ومن الجسد إلى العالم الخارجي [6]؛ أي أن مختلف المعاني والدوال التي تشكل

1- خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي،ص 178.

2ـ المرجع نفسه، ص178.

3- الأخضر بن السايح : سرد الجسد وغواية اللغة، ص 118.

4- المرجع نفسه، ص 94.

5- المرجع نفسه، ص 94.

6- المرجع نفسه، ص 117

الكتابة تنطلق من الجسد المادي إلى الذات المبدعة، والجسد هو الجسر الذي تعبر منه إلى العالم الخارجي.

خاتمة

خاتمة:

نحمد الله تعالى الذي وفقنا وأعاننا على إنجاز هذا العمل حمدا كثيرا طيبا ومباركا، والصلاة والسلام على رسوله الكريم قدوتنا لكل خير.

من خلال رحلتنا في البحث حول موضوعنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها في شكل نقاط كالتالي:

ـــ الجسد كان وما يزال من أهم المعالم التي تدل على الوجود الإنساني، وكذلك يدلل على الشخصية ويميزها عن غيرها، وأيضا هو القالب الذي تدور فيه الروح.

ـــ الجسد يمثل الحضور المادي للشخص، وهو المرآة التي تعكس كل ما يجول في خاطر الفرد وفي نفسه ويبديها واضحة للآخرين.

ـــ يمثل الجسد إشكالية من أهم الإشكاليات التي واجهت الفلاسفة والعلماء، مما جعل كل واحد منهم يعبر عنه حسب وجهة نظره الخاصة، ونادرا ما نجد اتفاقا في بعض الآراء بينهم.

ـــ للجسد لغة خاصة به غير اللغة المنطوقة، والتي من خلالها يستطيع أن يتواصل بها خاصة الأشخاص من ذوي الإحتياجات الخاصة، وهذه اللغة تختص بها الأعضاء حيث يكون لكل عضو لغته الخاصة به والدالة أيضا.

ـــ كان ومازال الجسد من المقدسات التي طالما قدسها الفرد في القديم، ووصلت درجة تقديسه في بعض المجتمعات إلى حد صار فيه الجسد معبودا.

ـــ الجسد هو مصدر انفعال وتفاعل الفرد مع غيره من الأفراد في مجتمعه وبيئته.

ـــ الجسد يعبر عن تطور الفكر الإنساني، حيث كلما ظهر الجسد في مظهر حضاري ومتألق دل على تطور الفكر الإنساني.

ــ للجسد القدرة على التعبير عن مواقف تعجز اللغة المنطوقة عن التعبير عنها.

ــ تجاوز الفلاسفة ثنائية الروح والجسد، واعتبروا الجسد مركز التفكير والإرادة من جهة والوسيلة التي يتواصل بها الإنسان مع العالم المحيط به من جهة أخرى.

ــ لم يبق الجسد في الصوفية ذلك الجسد المهمل والمقهور بالعبادة والطاعة وإنما أعطى الصوفي للجسد القدرة على التعبير عن نفسه في أبلغ الصور عندما أدخله إلى مجال الأدب.

ــ استطاع (أدونيس) أن يخلق للجسد لغة تعبر عن كيانه ووجوده وتتماشى مع أحواله وتمظهراته.

ــ أعطى (أدونيس) لأعضاء الجسد وظيفة أخرى غير الوظيفة الفيزيولوجية، وهي الوظيفة الجمالية الفنية حيث لم تعد العين تعبر عن مجرد حاسة البصر، وإنما أصبحت للعين دلالة فنية وإيحائية لا يمكن فهمها من خلال القراءة السطحية، بل لابد من التعمق والتمعن في فحوى القصيدة.

ــ من خلال المجموعة الشعرية لــ (أدونيس) نستدل على أهمية الجسد وقدرته على كتابة التاريخ بطريقته الخاصة ولغة الراقية.

ــ إن لغة الجسد ليست قالبا واحدا، وإنما تظهر في صور متعددة متماشية مع ما يطرأ على الجسد من مؤثرات خارجية، فنجدها مرة راضية مستبشرة ومرة أخرى غاضبة مستنفرة.

ــ كان (أدونيس) في قصيدته ميالا نحو جهة الجسد وأعطاه أهميته وقيمته المستحقة، ولم يعط مجالا للروح ولذكرها، مما يجعلنا نفهم أنه يمجد الجسد على حساب الروح.

ــ من خلال هذه الدراسة فهمنا أن الجسد ليس سجنا للروح كما قيل عنه بل هو الكون والعالم الذي تعيش وتحيا فيه.

ــ مهما حاول الشخص أن يفصل بين جسمه وذاته فإن هذا سيكون أمرا مستحيلا، فلا يمكن للشخص الفصل بينهما تفريقهما كونهما مرتبطان ترابطا يحيل إلى الوحدة والتكامل فيما بينهما إذ لا يمكن العيش دون أحدهما ولو حدث سيكون كل واحد منهما في عالم مختلف عن عالم الآخر.

ــ اعتمد (أدونيس) في كتابة مجموعته الشعرية على الخطاب الصوفي، الأسطورة، التاريخ، من أجل إنتاج لغة جديدة تكون فيها للجسد الكلمة الأولى والأخيرة.

ــ سعى (أدونيس) من خلال المجموعة الشعرية إلى خلق لغة تتماهى مع الجسد وتعبر عن كل أحواله.

ــ وفق (أدونيس) في مسعاه الفكري والأدبي حيث أصبح للجسد مكانة خاصة به ولغة تعبر عنه قريبة منه تقول ما يريده.

قائمة المصادر والمراجع:

ــ القرآن الكريم.

المعاجم:

إبن منظور: لسان العرب، ج8، دار الصبح، بيروت، ط1، 2006.

المصادر:

أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، قصيدة متعددة الأصوات، دار الساقي، ط 2، 2008.

المراجع:

1ــ إبراهيم محمود: تدوين التاريخ جسديا، الجسد الفردي والجسد الإجتماعي، كتابات معاصرة فنون وعلوم، دار العلم للملايين، المجلد السابع، العدد 26، شباط ــ آذار، د ط،1996.

2ــ إبن عربي: ترجمان الأشواق، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، د ط، 2005.

3ــ أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة: تر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001.

4ــ إحسان إلهي ظهير: التصوف، المنشأ والمصدر، إدارة الترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986.

5ــ أفلاطون: محاورة فيدون "في خلود النفس"، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2001.

6ــ الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ط1، 1066.

7ــ الحسن بن الزوزني: شرح المعلقات، دار الحياة، بيروت، د ط، د ت.

8ــ خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

9ــ ديكارت: تأملات ميتافيزيقية، G F ، باريس، د ط، 1979.

10ــ سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 2009.

11ــ صالح المباركة، الآداب الأجنبية القديمة والأروبية، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، د ط، 2007.

12ــ عبد الكريم عنيات: نيتشه والإغريق إشكالية أهل الفلسفة، الدار الغربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

13ــ عبد الله ابرهيم: المطابقة والإختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2004.

14ــ غيثاء قادرة: لغة الجسد في لغة الصعاليك، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003.

15ــ فريدريش نيتشه: ديوان نيتشه، تر: محمد بن صالح، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط2، 2009.

16ــ فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زراداشت، تر: فيلكس فارس، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

17ــ محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة دار الغريب للطباعة، القاهرة، د ط، د ت.

18ــ محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، دار الكتاب الجديد المنجدة، الصنائع، ط1، 2010.

19ــ محمد زايد: النص الصوفي بين الشعر والإبداع الفني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2011.

20ــ محمود فهمي زيدان: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،ط 1، 1980.

21ــ منير الحافظ: الوعي الجسدي، الإشارات الجمالية في طقوس الخلاص الجسدي، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط 3، 2012.

22ــ ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، تر: نبيل أبو صعب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 2009.

23ــ نيتشه: هكذا تكلم زراداشت، نشر المكتب العالمي للطباعة، بيروت، د ط، د ت.

المواقع الإلكترونية:

1ــ البوعيادي محمد: استلابات الجسد، 20 مارس 2012، عن الموقع الإلكتروني www.good reads.com

2ــ النفس عند الصوفية، ج1، الأربعاء 01 يونيو 2012.

3ــ بكري علاء الدين: الموسوعة العربية.

4ــ جمال مفرج: كوجيتو الجسد، دراسات في فلسفة ميرلونتي، عن الموقع الإلكتروني www.good reads.com

5ــ حميد مجدي: الحقيقة والجسد، عن الموقع الإلكتروني www.maaber.org

6ــ شعبان أحمد بدير: الرمز الشعري واغتراب اللغة من المنظور الصوفي، المقال الأول، عن الموقع الإلكتروني www.akkaber.arabllogs

7ــ عمر مهيبل: كوجيتو الجسد، دراسات في فلسفة ميرلوبونتي،عن الموقع الإلكتروني www.good reads.com

8ــ مصطفى محمود: من كتاب الإسلام ما هو؟ عن الموقع الإلكتروني www.mostafamahoud.logstop.com

الفهرس

المحتويات	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: ثنائية الروح والجسد في الموروث الإنساني.	
المبحث الأول: ثنائية الروح والجسد في الفلسفة الغربية.	
1ــ عند أفلاطون.	07
ثنائية الروح والجسد في الفلسفة الغربية المعاصرة(تحولات الثنائية).	14
1ــ عند نيتشه.	21
2ــ عند ميلوبونتي.	24
المبحث الثاني: ثنائية الروح والجسد في الفكر الصوفي.	
1ــ أصل التصوف وإشتقاقه.	28
2ــ النفس في نظرة المتصوفة.	31
3ــ الروح عند الصوفية الإسلام.	32
4ــ الجسد عند الصوفية.	33
5ــ علاقة الجسد بالنفس عند أبي حامد الغزالي.	38
6ــ الأدب عند الصوفية.	40
الفصل الثاني: لغة الجسد في مجموعة "أدونيس" تاريخ يتمزق في جسد إمرأة.	
المبحث الأول: لغة الجسد.	
أ) لغة الأعضاء.	51
ب)كلية الجسد.	63
المبحث الثاني: فاعلية الجسد.	
أ) الجسد منفعلا.	77
ب) الجسد فاعلا.	80
المبحث الثالث: تمظهراته.	
أ) الجسد متشكل.	84

ب)الجسد الأسطوري	92
ج) الجسد الصوفي.	96
المبحث الرابع: الجسد والكتابة.	
4) الجسد والكتابة.	94
خاتمة.	105
قائمة المصادر والمراجع.	109
الفهرس.	112